من القراءات القرآنيّة إحدى عشرة كلمة اتفق رسمها واختلفت حروفها ومعانيها

د. محمّد خازر المجالي *

* أستاذ مشارك – قسم الدراسات الإسلامية – جامعة الإمارات العربية المتحدة.

ملخص البحث:

يوجد في القرآن بعض كلمات اتفق رسمها، ولكن اختلفت حروفها ومعانيها من قراءة لأخرى، مما غير جذر الكلمة، وأثرى معناها.

بالرغم من الاختلاف بين هذه الكلمات إلا أنه اختلاف تنوع وإثراء لا اختلاف تضاد وتعارض.

يرجع االختلاف في هذه الكلمات إلى اختلاف القراءات المتواترة فيها، واختلاف القراءات ناتج عن وجود أكثر من وجه لقراءتها، وهذه الوجوه هي التي عناها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف.

هناك إحدى عشرة كلمة مما يمكن إدراجه تحت هذا الشرط، جاءت في أربع عشرة آية، وهذه الكلمات هي: كبير، ننشزها، فتبينوا، يقصّ، بُشْراً، يسيركم، تبلو، لنبوئنهم، كبيراً، عباد، بضنين.

كل قراءة لهذه الكلمات أعطت معنى ملائماً للسياق وما ترشد إليه الآية، فكان وجود هذه القراءات لهذه الكلمات غاية في الروعة والإعجاز، وذلك أن اختلاف القراءة نوع في المعنى، وكشف عن إعجاز النص القرآني.

بينت الدراسة أن قراء المصر الواحد اختلفوا في قراءة هذه الكلمات، وليس ذلك بغريب، إذ إن المعول عليه هو السماع ورسم المصحف، أما الرسم فهو واحد في المصر الواحد، وأما السماع فمن الطبيعي أن يكون عند قراء المصر الواحد أكثر من وجه، بناء على السماع من شيوخهم، بل إن من الطبيعي أن يكون عند القارىء نفسه أكثر من وجه للقراءة بدليل اختلاف راوييه عنه أحياناً.

تبين هذه الكلمات وغيرها مدى الدقة التي وُفِّق إليها الصحابة الكرام في كتابة المصاحف زمن عثمان رضي الله عنه، وذلك أنهم رسموا الكلمة بحيث تقبل وجوه القراءات الأخرى المتواترة الواردة فيها، فإن أمكن رسمها كذلك فبها، وإلا فإنهم خصوا بعض المصاحف برسم، والمصاحف الأخرى برسم،

وهذا الذي يوضح سبب اختلاف مصاحف الأمصار في رسم نحو من ست وثلاثين كلمة.

بينت الدراسة أن بعض الكلمات التي قد يُظن بأنها من المترادف قد اختلف معناها، وهذا يعزز القول.. بأن لا ترادف حقيقياً بين الكلمات العربية، فما دامت مختلفة في جذرها فلابد أن يكون هناك اختلاف في المعنى ولو كان بسيطاً.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

فإن موضوع القراءات القرآنية من أهم ما اعتنى به العلماء: تحقيقًا، وجمعًا وتوجيهًا. ولقد ألفت كتب ونظمت أبيات كثيرة في بيان قواعد هذا العلم، فجمعت القراءات، وصنفت، وتحدث العلماء عن توجيهها، وبينوا قواعد رسمها، مما عرف بالرسم العثماني، وبسطوا كثيرًا من المعرفة فيما يتعلق بها.

ونحن هنا أمام موضوع مرتبط بالقراءات القرآنية، مما هو بحاجة إلى مزيد من العناية والكشف والبيان، إنه موضوع الكلمات التي اختلفت حروفها من قراءة لأخرى من القراءات العشر المتواترة، مع أنه لم يختلف رسمها، فنريد أن نجمعها ونبين قراءاتها وتوجيهها واللطائف التفسيرية المتعلقة بها.

إن من المعلوم أن الكلمة قد تتغير اللهجة في قراءتها، من حيث الإمالة أو تسهيل الهمزة، أو إضافة ياء أو همزة...، وقد تتغير حركتها ليتغير إعرابها بحسب ما تفيده الجملة من معانٍ أخر للآية، وقد يتغير تصريف الفعل إن كانت الكلمة فعلًا، ويترتب على ذلك – أيضًا – تغيير في معنى الآية، وقد تتغير حركة الكلمة دون تغيير في المعنى، بأن يتبع هذا الأمر موضوع اللهجات مرة أخرى، وقد يبدل حرف بحرف، كالسين والصاد، وقد يزاد حرف أو أكثر في رسم مصحف دون آخر، وقد تتغير حركة كلمتين متشابهتين مما يظهر وكأنه تقديم وتأخير بين الكلمتين، وقد يتغير تنقيط الكلمة مما يترتب عليه تغيير في التذكير و التأنيث أو الخطاب، وقد يضاف حرف كالألف لتتغير الكلمة إفرادًا وجمعًا، وغير ذلك من أنواع الاختلافات بين القراءات، مما هو مبسوط معلوم في كتب القراءات.

إلا أن الذي يعنينا في هذا البحث هو شكل آخر من أشكال اختلاف

القراءات القرآنية، فهو متعلق بتلك الكلمات التي اختلفت معانيها نتيجة لاختلاف حروفها وجذرها مما يغير الكلمة كليًا، وذلك مما ورد في القراءات العشر المتواترة، مما لم يخالف رسم المصحف أو قواعد العربية. فليس موضوعه الاختلاف مثلًا بين (ملك) و (مالك)، أو بين (تعلمون) و (يعلمون)، أو بين (عليهِم) و (عليهُم)، إنما هو في مثل (عند) و (عباد)، أو (تتلو) و (تبلو)، أو (بشرًا) و (نشرًا)، وهكذا.

وبعض هذه الكلمات متقارب في المعنى، فهو شبيه بالمترادف، وهذا فيما يبدو لنا من ظاهر هذه الكلمات، وبعضها مختلف المعنى كليًا، فأعطى معنىً آخر دون أن يكون هناك تعارض في المعنيين بين القراءتين، فهو اختلاف تنوع وإثراء، لا اختلاف تعارض وتناقض، فالقرآن منزه عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾، (النساء/٨٢).

منهجية البحث:

حتى ننجز هذا البحث على الصورة الفضلى، فإنني سأقوم بالخطوات التالية:

١ - جمع أهم هذه الكلمات التي اختلفت حروفها ومعانيها من خلال استقراء القراءات القرآنية المتواترة، وسأجمع ما قرأ به القراء العشرة لا السبعة، متجاوزًا الخلاف هل القراءات الثلاث المتممة للعشر من المتواتر أم من المشهور؟

٢ - بيان القراءات الواردة فيها.

٣ - ذكر توجيه هذه القراءات.

٤ - بيان اللطائف التفسيرية المتعلقة بها.

وبناء عليه، فسأقسم البحث إلى نقاط بعدد هذه الكلمات، فكل كلمة تدرس وحدها في نقطة مستقلة حسب ترتيب ورودها في المصحف، لتشمل الدراسة ما ذكرناه من بيان القراءة وتوجيهها، وبيان اللطائف التفسيرية فيها.

وقبل ذلك فلا بد من باب تمهيدي لإعطاء نبذة مختصرة عن تاريخ نشأة القراءات القرآنية وسبب اختلافها.

تمهيد
في نشأة القراءات وسبب اختلافها

يرجع تاريخ القراءات ونشأتها إلى نزول القرآن على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، حيث أنزل عليه على سبعة أحرف كما هو معلوم ومبسوط في كتب القراءات وعلوم القرآن، فهناك أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في نزول القرآن على سبعة أحرف، وقد روى هذه الأحاديث عدد كبير من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأخذ عنهم عدد آخر كبير من التابعين، ومن هنا ذهب بعض العلماء إلى تواتر الخبر في نزول القرآن على سبعة أحرف، فقد نسب ابن الجزري هذا الأمر لأبي عبيد القاسم بن سلام وأكده.(١) وبين العلماء أيضًا أن أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف قد رويت عن خمسة عشر صحابيًا، رووا هذه الأحاديث من ستة وأربعين سندًا، منها ثمانية ضعيفة فقط.(٢)

ومن الأحاديث في نزول القرآن على سبعة أحرف قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان: "أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف".(٣)

وقد اختلف العلماء كثيرًا في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف، وذكروا آراء مختلفة، ولا يعنينا هنا بسطها والرد عليها، فالمهم أن هناك أكثر من وجه لقراءة بعض الكلمات، وهذا الاختلاف قد يكون في اللهجة، وقد يكون في الكلمة أو الحرف مما لا يناقض بعضه بعضًا، فهو كما قال النبي الكريم صلى الله

---

(١) انظر ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ١/ ٢١.

(٢) انظر شاهين، عبد الصبور، تاريخ القرآن، (دار القلم، ط/١، ١٩٦٦)، ص/ ٢٥-٢٦.

(٣) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فقد رواه البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، المطبوع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، (دار الفكر، بيروت)، رقم: ٤٩٩١، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، (دار الفكر، بيروت، ط/١٩٨٣)، رقم: ٨١٩.

عليه وسلم: "ليس منها إلا شاف كاف، إن: قلت سميعًا عليمًا عزيزًا حكيمًا، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب"،[١] وقوله: "نحو قولك تعال وأقبل، وهلم، واذهب، وأسرع، وأعجل".[٢]

وقد علق بعض العلماء على هذه التشبيهات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن شهاب الزهري: "بلغني أن تلك السبعة أحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدًا لا يختلف في حلال ولا حرام"،[٣] وقال ابن عبد البر: "إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافًا ينفيه ويضاده، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده"،[٤] وقال ابن حجر: "المراد

---

(١) رواه أبو داود السجستاني في السنن، (دار الفكر، بيروت)، رقم: ١٤٧٧ من حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه. وقد ذكر ابن حجر أن إسناد هذا الحديث قوي، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت)، ٢٨/٩.

(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند، (المكتب الإسلامي، بيروت)، ٥١/١ من حديث أبي بكرة رضي الله عنه. وهذا الحديث ضعيف، ففي إسناده علي بن زيد وهو سيئ الحفظ، انظر الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (مؤسسة المعارف، بيروت)، ١٥٤/٧، وانظر حول الرجل ما ذكره ابن حجر العسقلاني في: تقريب التهذيب، (دار المعرفة، بيروت، ط/٢، ١٩٧٥)، ٣٧/٢. ومع ضعف الرواية فيمكننا القول: بأنها ترتقي إلى درجة الحسن لغيره، فقد روى الطبري في تفسيره مثلها عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: "إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فاقرأوا كما عُلّمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم، وتعال"، وهذا الإسناد قوي كما قال أحمد شاكر محقق التفسير، انظر تفسير الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبعة المحققة بتحقيق أحمد ومحمود محمد شاكر، ٥٠/١-٥١.

(٣) ذكر الإمام مسلم هذه الزيادة عقب ذكره للحديث السابق رقم: ٨١٩، وقد روى هذه الزيادة – أيضًا – أبو داود السجستاني في السنن، رقم: ١٤٧٦.

(٤) انظر الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر، بيروت، ط/٣، ١٩٨٠)، ٢٢١/١، حيث ذكر مقولة ابن عبد البر هذه.

أن الكلمة الواحدة تقرأ على وجهين وثلاثة وأربعة، تهوينًا وتيسيرًا، والشيء الواحد لا يكون حرامًا وحلالًا في حالة واحدة".[1]

ومما يمكننا قوله: إن وجود أكثر من وجه لقراءة الكلمة الواحدة – بغض النظر عن طبيعة الاختلاف بين الوجهين – قد نقله الصحابة الكرام عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد أن انتشر الصحابة في الأمصار، فقد قاموا مقام النبي صلى الله عليه وسلم، فأقرأ كل واحد منهم أهل ذلك المصر أو الجيل الثاني ما قد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، بما في ذلك الاختلاف في وجوه قراءة الكلمة الواحدة إن وجد.

ولما حدث ما حدث زمن عثمان رضي الله عنه، حين هم بعض المسلمين بتخطئة بعضهم في القراءة، نتيجة لأسباب كثيرة، منها: ضعف اللسان العربي عند الداخلين الجدد في الإسلام، ونتيجة لعدم وجود نسخ رسمية من المصحف في الأمصار، فهذا الذي أدى بالخليفة أن ينسخ نسخًا متعددة من المصحف الذي كتب زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والذي بقي عنده ثم عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عند أم المؤمنين حفصة ابنة عمر رضي الله عنها، حيث روعي في كتابته ورسمه وجوه القراءة التي قرأها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، كما أقرأه إياها جبريل عليه السلام.[2] فأرسل عثمان رضي الله عنه المصاحف إلى الأمصار، وأرسل مع كل مصحف مقرئًا أو أكثر من الصحابة أو من كبار التابعين، ليكونوا المرجع في ضبط النص، إذ لم يكن ثمة تشكيل ولا تنقيط، فقام هؤلاء بمسؤولية الإقراء، ولندع ابن الجزري يكمل المسألة فيقول: "وجردت هذه المصاحف من النقط والشكل ليحتملها ما صح وثبتت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط، وكان من جملة الأحرف التي أشار إليها النبي

---

(١) انظر العسقلاني، فتح الباري، ٩/٢٩.

(٢) انظر الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، (دار العلم للملايين، بيروت، ط/١٨، ١٩٩٠)، ص/٨٥.

صلى الله عليه وسلم بقوله: (أنزل هذا القرآن على سبعة أحرف)، فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يُقتدى بهم ويُرحل إليهم ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم فيها اثنان، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم".[١]

ومن هنا نعلم أن هذه النسبة هي نسبة شهرة، وإلا فما كان لأحد من القراء أن يقرأ على هواه، فقد ذكر ابن مجاهد وابن الجزري وغيرهما بعض الآثار في التزام القراء ما سمعوه دون تبديل أو تغيير، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"، وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرءوا كما عُلّمتم"،[٢] ومما رواه ابن الجزري: "روينا عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما من الصحابة، وعن ابن المنكدر وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وعامر الشعبي من التابعين أنهم قالوا: القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول فاقرءوا كما علمتموه، ولذلك كان كثير من أئمة القراءة كنافع وأبي عمرو يقول أحدهم: "لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرأت لقرأت حرف كذا كذا، وحرف كذا كذا"،[٣] ويقول ابن تيمية: "ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه، بل القراءة سنة متَّبعة"،[٤] ويقول ابن حجر: "إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي".[٥]

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر، ١/٣٢.

(٢) انظر هذين الأثرين عند ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، (دار المعارف، مصر)، ص/٤٦-٤٨.

(٣) النشر في القراءات العشر، ١/١٧. وانظر كتاب السبعة في القراءات، ص/٤٨.

(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه، (تصوير الطبعة الأولى، الرياض)، ١٣/٣٩٩.

(٥) فتح الباري، ٩/٢٧.

وبهذا نقل هؤلاء القراء الثقات ما توفر عند كل واحد منهم من وجوه لقراءة الكلمة الواحدة، مما سمعه من القراء الذين أرسلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومن غيرهم من الصحابة الكرام الموجودين في ذلك المصر أو ذاك، ومما وافق رسم مصحف ذلك المصر.[١] وهذا الذي يفسر وجود أكثر من راو لكل قاريء، حين يروي أحدهم وجهًا وراو آخر وجهًا آخر عن القاريء نفسه. وهذه الوجوه هي التي تحدثنا عنها والتي تمثل نزول القرآن على سبعة أحرف، فقد بين بعض العلماء أن ليس معنى ذلك أن كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه، بل إن الغاية الأبعد في قراءة الكلمة الواحدة هي سبعة أوجه.[٢]

ولما كثر عدد المتصدين للقراءة – وهم متفاوتون في الدقة والحفظ والإتقان لما عندهم من وجوه القراءة المتنوعة، عندها جمع بعض العلماء ما يراه صحيحًا من هذه القراءات، وأول من صمم على جمع الأصح منها ممن هم أئمة في القراءة هو أبو بكر بن مجاهد، فجمع سبع قراءات لسبعة أئمة، ثم زاد العلماء بعدئذ ثلاثة آخرين ليصبح مجموعها عشرة[٣]، هي التي حكموا عليها بالتواتر.[٤]

---

(١) الراجح والله أعلم: أن عدد هذه المصاحف خمسة، وهي التي أرسلت إلى الكوفة، والبصرة، والشام، ومكة، والذي بقي في المدينة. وقد يزاد عليها سادس، وهو الذي بقي مع عثمان رضي الله عنه. ونحن نجزم بذلك؛ لأنه لم يرد ذكر لأي مصحف آخر في أي كتاب من كتب القراءات، فهذه الكتب تذكر عادة مصاحف هذه الأمصار المذكورة، وهي التي نبغ فيها القراء، ولم نسمع أن هناك قراءً من غير هذه الأمصار.

(٢) انظر في هذا ما ذكره ابن حجر في فتح الباري، يقول: "وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة"، ويقول: "وحاصل ما ذهب إليه هؤلاء: أن معنى قوله (أنزل القرآن على سبعة أحرف) أي أنزل موسعاً على القاريء أن يقرأه على سبعة أوجه، أي يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه"، ٩/٢٣، ٢٨.

(٣) القراء السبعة هم: ١. ابن كثير المكي، وراوياه هما: البزي، وقنبل، ٢. نافع المدني، وراوياه هما: ورش، وقالون، ٣. ابن عامر الشامي، وراوياه هما: هشام، وابن ذكوان، ٤. أبو عمرو بن العلاء البصري، وراوياه هما: الدوري والسوسي، ٥. عاصم الكوفي، وراوياه هما: شعبة، وحفص، ٦. حمزة الكوفي، وراوياه هما: خلف، وخلاد، ٧. الكسائي الكوفي، وراوياه هما: الليث، والدوري. (وهو نفسه راوي أبي عمرو). أما بقية العشرة فهم: ٨. أبو جعفر المدني، وراوياه هما: ابن وردان، وابن جماز، ٩. يعقوب البصري، وراوياه هما: رويس، وروح، ١٠. خلف الكوفي (وهو راوي حمزة)، وراوياه هما: إسحق، وإدريس).

(٤) انظر في هذا: القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، (مكتبة المعارف، الرياض، ط/٢ الجديدة، ١٩٩٦)، ص/١٧٢-١٧٥.

وبهذا يمكننا القول: بأن ما اجتمع عند القراء المتأخرين من السبعة والعشرة وغيرهم هو ناتج عن وجوه القراءة تلك، لا عن وجه واحد بعينه.

وهذه الكلمات موضوع الدراسة تندرج تحت ما تنوعت فيه القراءة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ووافق رسم المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار، فقرئت على أكثر من وجه تتغير فيه الكلمة معنى وحرفًا، دون تعارض في المعنى العام للآية على الوجهين.

نتائج الاستقراء والبحث

بعد البحث والاستقراء وقفت على مواضع كثيرة لهذا الشرط، ولكن أهم هذه الكلمات وأوضحها جاء في أربعة عشر موضعًا، لإحدى عشرة كلمة في القرآن الكريم، مما وردت فيها قراءات مختلفة متواترة، لكلمات اختلفت حروفها ومعانيها وجذرها دون رسمها، وهذه الكلمات هي التي ستكون موضوع الدراسة هي:

١ - كلمة (كبير) في قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، (البقرة/ ٢١٩)، فقد قرئت أيضًا بلفظ (كَثيرٌ).

٢ - كلمة (ننشزها) في قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، (البقرة/ ٢٥٩)، فقد قرئت أيضًا بلفظ (نُنْشِرُها).

٣ - كلمة (فَتَبَيَّنُوا) في قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، (النساء/ ٩٤)، فقد قرئت أيضًا بلفظ (فَتَثَبَّتُوا).

٤ - كلمة (يَقُصُّ) في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ﴾، (الأنعام/ ٥٧)، فقد قرئت أيضًا بلفظ (يَقْضِ).

٥ - كلمة (بُشْرًا) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾، (الأعراف/٥٧)، فقد قرئت أيضًا بلفظ (نُشْرًا).

٦ - كلمة (يُسَيِّرُكُمْ) في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، (يونس/٢٢)، فقد قرئت أيضًا بلفظ (يَنْشُرُكُمْ).

٧ - كلمة (تَبْلُو) في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾، (يونس/٣٠)، فقد قرئت أيضًا بلفظ (تَتْلُو).

٨ - كلمة (بُشْرًا) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾، (الفرقان/٤٨)، فقد قرئت أيضًا بلفظ (نُشْرًا)، وهذه شبيهة بالكلمة الخامسة.

٩ - كلمة (بُشْرًا) أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾، (النمل/٦٣)، فقد قرئت أيضًا بلفظ (نُشْرًا) كما في الموضع السابق والخامس.

١٠- كلمة (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾، (العنكبوت/٥٨)، فقد قرئت أيضًا (لَنُثْوِيَنَّهُمْ).

١١- كلمة (كَبِيْرًا) في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾، (الأحزاب/٦٨)، فقد قرئت أيضًا (كَثِيْرًا)، وهي شبيهة بالكلمة الأولى.

١٢- كلمة (عِبَادُ) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾، (الزخرف/١٩)، فقد قرئت أيضًا (عِنْدَ).

١٣- كلمة (فَتَبَيَّنُوا) في قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، (الحجرات/٦)، فقد قرئت أيضًا (فَتَثَبَّتُوا)، وهذه شبيهة بالكلمة الثالثة.

١٤- كلمة (بِضَنِين) في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، (التكوير/٢٤)، فقد قرئت أيضًا (بِظَنِين).

فهذه أربعة عشر موضعًا لإحدى عشرة كلمة، اختلف معناها ولفظها، إذ تكررت كلمة (فتبينوا) في موضعين، وتكررت كلمة (بشرًا) في ثلاثة مواضع.

ويلاحظ على بعض هذه الكلمات أنها قريبة في المعنى كما بينا في المقدمة، مثل (كبير-كثير)، (فتبينوا-فتثبتوا)، وسنبين إن كان ثمة فرق بينها أم لا. أما الكلمات الأخرى فهناك تباين في معانيها، منه التباين الواضح، ومنه القريب من المترادف كما سنرى في الدراسة.

وهذا جدول يبين الكلمات ومواضعها ومن قرأ كل وجه من القراءة، ثم نتبعه بالدراسة التفصيلية لكل كلمة.

م	الآية/الجملة	الكلمة	القراءة الأولى	القراءة الثانية
١	﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، البقرة/٢١٩	كبير	كَثير: حمزة والكسائي	كَبير: الباقون
٢	﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، البقرة/٢٥٩	ننشزها	نُنْشِزُها: ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف	نُنْشِرُها: الباقون
٣	﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، النساء/٩٤	فتبينوا	فتثبّتوا: حمزة والكسائي وخلف	فتبيّنوا: الباقون
٤	﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾، الأنعام/٥٧	يقص	يَقُصُّ: نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر	يَقْضِ: الباقون

٥	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾، الأعراف/٥٧	بشرًا	نُشْرًا: ابن عامر، نَشْرًا: حمزة والكسائي وخلف، نُشُرًا: الباقون	بُشْرًا: عاصم
٦	﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، يونس/٢٢	يسيركم	يَنْشُرُكُم: ابن عامر وأبو جعفر	يُسَيِّرُكُم: الباقون
٧	﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾، يونس/٣٠	تبلوا	تَتْلوا: حمزة والكسائي وخلف	تَبْلوا: الباقون
٨	﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾، الفرقان/٤٨	بشرًا	نُشْرًا: ابن عامر، نَشْرًا: حمزة والكسائي وخلف، نُشُرًا: الباقون	بُشْرًا: عاصم
٩	﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾، النمل/٦٣	بشرًا	نُشْرًا: ابن عامر، نَشْرًا: حمزة والكسائي وخلف، نُشُرًا: الباقون	بُشْرًا: عاصم
١٠	﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾، العنكبوت/٥٨	لنبوئنهم	لَنُثْوِيَنَّهُم: حمزة والكسائي وخلف	لَّنُبَوِّئَنَّهُم: الباقون
١١	﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾، الأحزاب/٦٨	كبيرًا	كبيرًا: عاصم	كثيرًا: الباقون
١٢	﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾، الزخرف/١٩	عباد	عند: نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب	عباد: الباقون
١٣	﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، الحجرات/٦	فتثبتوا	فتثبّتوا: حمزة والكسائي وخلف	فتبيّنوا: الباقون
١٤	﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، التكوير/٢٤	بضنين	بظنين: ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب	بضنين: الباقون

١. كلمة (كبير) في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾، **(البقرة/٢١٩).**

فهذه الكلمة قرأها حمزة والكسائي بلفظ (كثيرٌ)، على حين قرأها باقي العشرة (كبيرٌ).[١] ونلحظ كيف احتمل رسمها (دون تنقيط أو تشكيل) كلتا القراءتين، وكيف اختلف لفظهما ومعناهما رغم تقاربه.

وعن توجيه هاتين القراءتين فقيل: بأن الكثرة باعتبار الآثمين من الشاربين والمقامرين، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن عشرة بسبب الخمر،[٢] وأما الكبير: فلوصف الإثم بالعظم، فيقال لعظائم الفواحش: كبائر.[٣]

---

(١) انظر القراءات عند الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد، التيسير في القراءات السبع، (مطبعة الدولة، استنبول، ١٩٣٠)، ص/٨٠؛ ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٩٧٩)، ص/١٣٢-١٣٣؛ الأصفهاني، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران، الغاية في القراءات العشر، تحقيق محمد غياث الجنباز، (دار الشواف، الرياض، ط/٢، ١٩٩٠)، ص/١٩٦؛ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/٢٢٧؛ محيسن، محمد سالم، المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، (المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ١٩٧٩)، ١/٩١.

(٢) انظر الأحاديث في ذلك عند الترمذي، الجامع الصحيح، رقم: ١٢١٦؛ ابن ماجه، السنن، ٣٣٧٢؛ وغيرهما.

(٣) انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط/٣، ١٩٦٨)، ٢/٣٦٠؛ الرازي، الفخر، مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، (مكتبة الإيمان، القاهرة، ط/١، ١٩٩٢)، ٣/٣٢١؛ أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/٢، ١٩٩٠)، ٢/١٥٧؛ القرطبي، أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن، (مكتبة الرياض الحديثة)، ٣/٦٠؛ ابن أبي مريم، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق عمر حمدان الكبيسي، (الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة، ط/١، ١٩٩٣)، ١/٣٢٤-٣٢٥؛ مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وتوجيهها، تحقيق محيي الدين رمضان، (ط/١٩٧٤)، ١/٢٩١-٢٩٢؛ محيسن، محمد سالم، الهادي: شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها، (دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٩٩٧)، ٢/٧٩.

والحقيقة أن هذه الآية تتحدث عن واحدة من المسائل التي وجهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهي عن الخمر والميسر، ونحن نعلم ما كان لهما من موقع عظيم في نفوس القوم، وخاصة الخمر، ومن هنا فلم تحرَّم مرة واحدة، إذ تدرج التشريع في تحريمها كما هو الحال في أحكام الإسلام الأخرى، وفي هذا السياق نورد حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ تقول: "إنما نزل أول ما نزل آي من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، فلو نزل أول شيء (لا تشربوا الخمر) لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا.." .(١)

وموضوع الخمر لاقى عناية في تدرج التحريم أكثر من غيره، فمر تحريمه في أربع مراحل،(٢) الثانية منها جاءت في هذه الآية من سورة البقرة، فكان لا بد من بيان مخاطر الخمر زيادة على أنه رزق غير حسن، فبينت الآية أن فيها وفي الميسر إثمًا كبيرًا وكثيرًا، وهذا الإثم أكبر من النفع، والعاقل

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه برقم: ٤٩٩٣.

(٢) انظر في هذا تفسير الرازي، ٣/٣١١-٣١٢؛ تفسير البحر المحيط، ٢/١٥٧. أما المراحل الأخرى فهي: الأولى في آية مكية، وهي قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، (النحل/٦٧)، فأشارت الآية إلى أن المسكر ليس رزقًا حسنًا. أما الثالثة: فجاءت في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾، (النساء/٤٣)، فبينت الآية أمراً آخر من مضار الخمر، وهي أن السكران لا يدري ما يقول، فكيف يخشع في صلاته؟ بل كيف يتدبر أمره كله في الصلاة؟ فكأن هذه الآية حرمت الخمر بطريقة غير مباشرة، سيما وأن وقت الصلاة موزع على النهار. أما الرابعة والأخيرة: ففي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، (المائدة/٩٠-٩١)، فبينت بشكل نهائي الضرر الأكبر حين تغري الخمرة صاحبها في العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، وحين تصد صاحبها عن ذكر الله وعن الصلاة.

يرجح بين المفاسد والمنافع، ومن هنا فقد أرشدت الآية إلى أمور أخرى لم تتضح من قبل.[١]

وهذه الآية مما نزل في بدايات العهد المدني، حيث الدولة الإسلامية الناشئة، فلا بد من تهيئة الأمة المجاهدة الداعية، وهذا لا يستقيم مع ما يلهي ويصرف الجهود، فكان لا بد من لفت النظر إلى خطر الخمر والميسر، فنزلت الآية، لتخبر عن طريق قراءتين مختلفتين لكلمة واحدة عن أمرين اثنين فيما يتعلق بإثم الخمر، فهو إثم كبير بالنظر إلى عظم أثره، وذلك ما بينته الآيات التالية في تحريم شرب الخمر،[٢] ناهيك عن ضرر الميسر حين تهدر أموال الأمة ولا يستفاد منها، والقراءة بذلك تمهد إلى اعتبار الخمر والميسر من الكبائر التي نهى الشرع عنها، فكلمة الكبير تقابلها كلمة صغير، فنلحظ أن المقصود هو تصوير عظم الإثم. وهو أيضًا إثم كثير، والكثرة تنبيء عادة عن معدود، ويقابلها القلة، فكأن الله سبحانه أراد أن يبين كثرة أخطار الخمر والميسر، فضلًا عن كبرهما، فإثمهما يتجاوز حدود الشخص إلى الغير، بل إلى المجتمع، وتفعل الخمر في صاحبها أشياء كثيرة من الإثم، مما عددته الآيات الأخرى، وهي التي سميت أم الخبائث.

---

(١) ولا بد هنا من لفت النظر إلى أن المنافع المذكورة هي تجارية بحتة، ولعل الدليل على ذلك: ما روي من أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية وآية الربا حرم تجارة الخمر، انظر صحيح البخاري، الأحاديث: ٤٣٩، ١٩٤٢ وغيرها؛ صحيح مسلم، الحديث ٢٩٥٨ وغيره. ولا يظنن ظان بأنها منافع صحية، فقد ورد في الحديث: "أن رجلًا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر، فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بدواء، ولكنه داء". الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم: ٣٦٧٠؛ والدارمي في السنن برقم: ٢٠٠٣. والصحابي الذي سأل هو طارق بن سويد.

(٢) انظر ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٥، ١٩٩٠)، ص: ٩٦، ويقول: "والحجة لمن قرأ بالثاء أنه لما وقع اللفظ على أعداد: وهي الخمرة المشروبة، والميسر، وهو القمار، كانت الثاء في ذلك أولى، ودليله قوله تعالى: "ولا أدنى من ذلك ولا أكثر" ولم يقل: أكبر".

ومن هنا ندرك كيف أن هذه الكلمة بقراءتين مختلفتين – دون أن يكون هناك تعارض في المعنى – قد أعطت معنيين ووصفين لإثم الخمر والميسر، فسدت كلمة واحدة بقراءتين مختلفتين مسد آية أخرى،[١] وهذا إعجاز في الإيجاز، وإثراء للمعنى، وحشد لما يرهب المسلم من شرب الخمر ولعب القمار، حين يعلم أن إثمهما كبير في عظم الأثر، وكثير الآفات متنوع الأخطار. فالخلاصة أن الله سبحانه أراد المبالغة في تصوير خطر الخمر والميسر، كي تنفر النفس المؤمنة منهما، وتضيق مسالكهما في المجتمع المسلم الناشيء، ولكي يعلم المسلم عبر العصور التالية شيئًا من الهداية حول حكمة التشريع في تحريم الخمر والميسر.

وأعجب – هنا – مما ذكره الطبري رحمه الله، حين رجح قراءة (كبير)، فقال: "وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالباء، لإجماعهم على قوله (وإثمهما أكبر من نفعهما) وقراءته بالباء، وفي ذلك دلالة بينة على أن الذي وُصف به الإثم الأول من ذلك هو العظم والكبر، لا الكثرة في العدد، ولو كان الذي وصف به من ذلك الكثرة لقيل (وإثمهما أكثر من نفعهما)"،[٢] فكلتا القراءتين متواترة، ولا مسوغ لهذا الترجيح،[٣] هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد بين بعض العلماء المعنى الدقيق لقوله سبحانه (وإثمهما أكبر من نفعهما)، فقد بين أبو حيان (وعزا ذلك إلى الزمخشري) أن عقاب الإثم في تعاطيهما أكبر من نفعهما من الالتذاذ بشرب الخمر ولعب القمار.[٤]

---

(١) انظر النشر، ١/٥٢، حيث أشار إلى هذه الفائدة لاختلاف القراءات، كما نكر فوائد أخرى، في هذا السياق الذي يهمنا في هذا البحث، منها الدلالة على أن هذا القرآن من عند الله، إذ لا تضاد في آياته، رغم اختلاف معناها في بعض الأحيان، بل تشهد لبعضها.

(٢) تفسير الطبري، ٢/٣٦٠.

(٣) انظر تفسير البحر المحيط، ٢/١٥٧، حيث رد أبو حيان على من رجح بينهما مع كونهما متواترتين.

(٤) انظر تفسير البحر المحيط، ٢/١٥٨.

ومن هنا ناسب أن يكون الوصف الثاني هو (أكبر)، وذلك أنه بعد بيان أن في الخمر والميسر إثمًا كبيرًا وكثيرًا، فإثمهما بهذه الصورة من الكبر والكثرة أكبر وأعظم من نفعهما، وهذا الذي ينتظره السامع من حكم إلهي على الخمر والميسر بعد بيان إثمهما ونفعهما.

٢. كلمة (ننشزها) في قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، (البقرة/٢٥٩).

هذه الكلمة قرأها ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بلفظ (نُنْشِزُها)، وقرأها الباقون بلفظ (نُنْشِرُها).[١] ونلحظ كيف احتمل رسمها (دون تنقيط أو تشكيل) كلتا القراءتين، وكيف اختلف لفظهما ومعناهما.

أما عن توجيههما: فالنشر من النشور وهو الإحياء، وهو – أيضًا – بمعنى البسط والبث، أي فانظر إلى العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحمًا، يقال: نشر الله الميت ينشره نشرًا ونشورًا، بدليل أن الله قال قبلها: "أنّى يحيي هذه الله بعد موتها". أما ننشزها فمن النشز، بمعنى الارتفاع، والمعنى: انظر إلى العظام كيف نرفع بعضها على بعض في التركيب للإحياء، أو كيف نركب بعضها على بعض وننقل ذلك إلى مواضع من الجسم.[٢]

وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بتقارب معنى الكلمتين، فالطبري يقول: "القول في ذلك عندي أن معنى كل منهما متقارب، وقد جاءت بالقراءة بهما الأمة مجيئًا يقطع العذر ويوجب الحجة، فبأيهما قرأ القارىء فمصيب، لانقياد معنييهما، ولا حجة توجب لإحداهما من القضاء بالصواب على الأخرى".[٣]

والحقيقة أن هذه الآية معطوفة على سابقتها في إظهار كمال قدرة الله سبحانه وتعالى، فكأن الله تعالى قال: هل رأيت كالذي حاجّ إبراهيم في ربه؟ أو

---

(١) انظر القراءات في: التيسير، ص/٨٢؛ حجة القراءات، ص/١٤٤؛ تفسير الطبري، ٣/ ٤٣؛ الغاية، ص/٢٠٣؛ النشر، ٢/٢٣١؛ المهذب، ١/١٠١.

(٢) انظر تفسير الطبري، ٣/٤٣؛ تفسير القرطبي، ٣/٢٩٥؛ الحجة لابن خالويه، ص: ١٠٠-١٠١؛ الموضح، ١/٣٤٢؛ الكشف، ١/٣١٠؛ الهادي، ٢/٨٩.

(٣) تفسير الطبري، ٣/٤٤.

كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها؟[1] فالآيتان في سياق واحد وسيقتا لغرض واحد، ففي الآية الأولى قصة إبراهيم صلى الله عليه وسلم مع النمرود وقول إبراهيم له: ربي الذي يحيي ويميت، فهو سبحانه القادر على الإحياء والإماتة وتكرار ذلك، فلا يعجزه شيء. أما في الآية الثانية: فإنه سبحانه يقص علينا قصة من تعجب من إمكانية أن يحيي الله القرية بعد خرابها وخوائها، والمقصود إعادة الحياة إليها.

ومن هنا فإن معنى النشر هنا هو الإحياء، ولكنه مختص بالإحياء بعد الإماتة، ولهذا قال الله في هذه الآية: فأماته الله مائة عام ثم بعثه، فقد أحياه بعد الموت، وبهذا نفهم أيضًا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾، (الفرقان/٣)، فقد جمع الله – هنا – بين الحياة والنشور، فلا بد أن يكون بينهما تغاير، فالحياة هي المعروفة، والنشور هو الإحياء بعد الإماتة، وبدليل قوله أيضًا: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾، (فاطر/٩)، وقوله: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، (الزخرف/١١).

ومن هنا – أيضًا – نلحظ الآية بعد هذه، فهي في السياق نفسه، وسيقت للغرض ذاته، حين قال إبراهيم صلى الله عليه وسلم لربه تعالى: "رب أرني كيف تحيي الموتى"، فسؤاله عن الكيفية، لا عن الإحياء، فهو متعلق بالإحياء بعد الموت كيف يكون.

وعودة إلى القراءة الأولى، فالله سبحانه يطلب من المتعجب أن ينظر إلى حماره كيف أحياه الله بعد طول مدة الإماتة،[2] وكذلك أحياه الله بعد مائة عام

---

(١) انظر الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، (دار الوفاء، مصر، ط/١، ١٩٩٤)، ١/٣٥٣.

(٢) من المفسرين: من ذهب إلى أن المقصود عظامه هو، وقيل عظامهما، وقيل عظام أهل القرية، ورجح هؤلاء أن المقصود عظام الحمار، انظر تفسير الرازي، ٣/٥٧٨؛ البحر المحيط، ٢/٢٩٣.

وجعله الله آية للناس، ثم لينظر إلى العظام كيف يعيد الحياة إليها بعد بلائها، ثم يكسوها لحمًا، أي يسترها به، كناية عن ستر الجسد باللباس.[١]

أما قراءة (ننشزها): فالنشز: هو المرتفع من الأرض، ويُعَبَّر عن الإحياء بالنشز؛ لكونه ارتفاعًا بعد اتّضاع، وقيل: امرأة ناشز[٢] إذا رفعت نفسها عن طاعته وعينها إلى غيره،[٣] فمعنى انظر إلى العظام كيف ننشزها، أي كيف نرفع بعضها إلى بعض بتأليفها وجمع بعضها إلى بعض،[٤] ففيه معنى التركيب والإحياء.

وبالنظر إلى القراءتين نجد أن كلتيهما أعطت معنىً شبه مستقل، فالنشر: إحياء بعد موت؛ للإشارة إلى كونها لا حياة فيها ألبتة، فهو سبحانه القادر على الإحياء وعلى البعث بعد الموت، والنشز: رفع للعظام، وتركيب لها بعضها فوق بعض، بعد كونها نخرة، وفي ذلك إشارة إلى كيفية الإحياء، فالإنسان الميت لا يوصف بالحياة بعد الموت بمجرد إحياء العظام وكسوتها لحمًا، بل بتركيب هذه العظام وتأليفها كما كانت. وكلتاهما ترشد إلى قدرة الله سبحانه وتعالى الذي لا يعجزه شيء.

٣. كلمة (فَتَبَيَّنُوا) في قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾، **(النساء/ ٩٤).**

وردت هذه الكلمة في موضعين هنا في هذه الآية وفي موضع ثالث في سورة الحجرات، فقد قرأها حمزة والكسائي وخلف بلفظ (فَتَثَبَّتُوا)، وقرأها الباقون بلفظ (فَتَبَيَّنُوا).[٥] ونلحظ كيف احتمل رسمها (دون تنقيط أو تشكيل) كلتا القراءتين، وكيف اختلف لفظهما ومعناهما رغم تقاربه.

---

(١) انظر تفسير الرازي، ٣/ ٥٧٩؛ فتح القدير، ١/ ٣٥٥.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، (النساء/ ٣٤).

(٣) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، (دار المعرفة، بيروت)، ص/ ٤٩٣.

(٤) انظر حجة القراءات، ص/ ١٤٤؛ الهادي، ٢/ ٨٩.

(٥) انظر القراءات في: التيسير، ص/ ٩٧؛ حجة القراءات، ص/ ٢٠٨-٢٠٩؛ الغاية، ص/ ٢٢٨؛ النشر، ٢/ ٢٥١؛ المهذب، ١/ ١٦٧.

وعن توجيههما فقد ذكر علماء توجيه القراءات بأن التثبت فيه معنى التأني والتوقف الذي هو خلاف العجلة، حتى يتيقن من صحة الخبر، أما التبين ففيه معنى التفحص والكشف، فالمعنى متقارب.[١] وقيل: بأن التبين أعم من التثبت، ففيه معنى التثبت، وليس العكس صحيحًا.[٢] وقيل: إن وجه التثبت هو الاحتياط من زلل السرعة، ووجه التبيين هو الأمن من الخطأ.[٣]

وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بتقارب المعنيين، فالطبري – مثلًا – لم يرجح بين القراءتين (كما مر معنا، وسيمر في كلمات أخرى قادمة)، وقال: "إنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة المسلمين بمعنى واحد وإن اختلفت بهما الألفاظ، لأن المتثبت متبين، والمتبين متثبت، فبأي القراءتين قرأ القارىء فمصيب صواب القراءة في ذلك".[٤]

ولننظر إلى الآية الكريمة، فالله سبحانه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾. فالآية جاءت بعد الحديث عن القتل وأحكامه، خطأً كان أم عمدًا، وقبل هذه الآيات كان الحديث عن أقوام من المنافقين الذين

---

(١) انظر حجة القراءات، ص/٢٠٩؛ تفسير الطبري، ٥/٢٢٥؛ الموضح، ١/٤٢٣؛ الكشف، ١/٣٩٤-٣٩٥؛ المهذب، ١/١٦٧. ولا التفات لما ذكره الرازي من ترجيح لقراءة التبين بحجة أنها أبلغ وأكمل، تفسير الرازي، ٥/٣٩٣، فكلتا القراءتين متواترة قرأ بهما النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) انظر الهادي، ٢/١٥٦. وقال القرطبي، ٥/٣٣٨: "وتبينوا في هذا أوكد، لأن الإنسان قد يتثبت ولا يتبين".

(٣) انظر قمحاوي، محمد الصادق، الكوكب الدري في شرح طيبة ابن الجزري، (ط/١)، ص/٤١٧.

(٤) تفسير الطبري، ٥/٢٢٥. وانظر أيضاً تفسير الرازي، إذ قال بتقارب معنييهما. وقال ابن خالويه: "والأمر بينهما قريب، لأن من تبين فقد تثبت، ومن تثبت فقد تبين"، الحجة، ص: ١٢٦.

تقلبت أحوالهم في ولائهم، وكان الأمر صريحًا بقتال بعضهم كما تبين الآيات، فيقول تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، (النساء/ ٨٩)، ويقول: ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾، (النساء/ ٩١).

فهذه الأحكام تستدعي من المسلمين في ضربهم في الأرض – سفرًا وجهادًا – أن يتأكدوا من أحوال من يلقونهم، فلا يتعجلوا بقتل من يظهر الإسلام، ابتغاء غنيمة يطمعون بها، فقد حَقن هؤلاء دماءهم بمقولتهم تلك، وهي السلام أو السَّلَم، كما في القراءة الأخرى،[1] فيذكّرهم الله بأنهم كانوا كذلك قبل إسلامهم، فحقن الله دماءهم بكلمة الشهادة، أو أنهم كانوا يخفون إيمانهم عن قومهم حتى أعز الله دينه، ثم أعاد الله الأمر بالتبين تأكيدًا لأهميته، ثم تأتي الفاصلة المشعرة بالرقابة الإلهية والعلم بالأعمال وبواعثها، فلا تخفى عليه خافية.

ولعل سبب النزول يوضح معنى الآية أكثر، فقد روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لحق ناس من المسلمين رجلًا معه غُنَيْمَة، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غُنَيْمَتَه، فنزلت الآية"،[2] ووردت روايات أخرى كلها تدل على المعنى نفسه، مع اختلاف في تحديد الأشخاص والأقوام الذين سلموا.

ولا بد – هنا – من أن نبحث عن أصل المعنى اللغوي لكل من الكلمتين، ثم ننظر في سياق الآيات، فالتبيين مشتق من بين أو بان، وهي بمعنى الظهور بعد الاستتار. أما التثبت: فمن الإثبات والتثبيت، فتارة يكون بالفعل، كما يقال لما يخرج من العدم إلى الوجود: أثبت الله كذا، وتارة لما يثبت بالحكم، فيقال: أثبت الحاكم على فلان كذا وثبّته، وتارة لما يكون بالقول، سواء كان صدقًا أو كذبًا،

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وحمزة وأبو جعفر وخلف (السَلَمَ)، وقرأ الباقون (السلام)، انظر النشر، ٢/ ٢٥١. فالسلم من الاستسلام والانقياد، أما السلام فهو تحية الإسلام، انظر حجة القراءات، ص/ ٢٠٩؛ وقيل: هما بمعنى الإسلام، انظر فتح القدير، ١/ ٥٩٢.

(٢) انظر صحيح البخاري، حديث رقم: ٤٥٩١، وصحيح مسلم، حديث رقم: ٣٠٢٥.

فيقال: أثبت التوحيدَ وصدقَ النبوة، وفلان أثبت مع الله إلهًا آخر.[1] ولعل الذي ينسجم مع الآية – هنا – هو من تأكد الخبر بالسماع. فالمطلوب من المسلم التأكد، فإن كان بدلالات مشاهدة فهذا هو التبين، أما إن كان عن طريق الخبر فهو التثبت،[2] وأي من الأمرين يكفي دليلًا واضحًا للحكم على الشيء.

فمن خلال سبب النزول، والسياق القرآني للآيات، ومعنى الآية، والمعنى اللغوي للكلمتين، ندرك أهمية مسألة التأكد، حتى لا تقتل نفس ظلماً، فلا بد من التبين أو التثبت، فالتبين بما يظهره من علامات مشاهَدة نتأكد من خلالها صدقه، والتثبت بما نحصل عليه من أخبار نتأكد من خلالها أصادق هو أم كاذب؟ وعلى العموم فمطلوب منا التروي والتمهل.

٤. كلمة (يَقُصُّ) في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ﴾، (الأنعام/٥٧).

فهذه الكلمة قرأها نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر بلفظ (يَقُصُّ)، وقرأها الباقون بلفظ (يَقْضِ).[3] ونلحظ كيف احتمل رسمها (دون تنقيط أو تشكيل) كلتا القراءتين، وكيف اختلف لفظهما ومعناهما.

ولعل التوجيه – هنا – واضح لتفاوت المعنى بين الكلمتين، فعلى قراءة (يقص) فالمعنى أن جميع ما أنبأ الله به أو أمر به فهو من أقاصيص الحق، وورد في القرآن قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، (يوسف/٣)، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، (النمل/٧٦)، وغيرها، والقص: هو تتبع الأثر، والقصص هو الأثر. أما قراءة (يقض) فمن القضاء الذي هو الحكم والفصل، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ﴾، (غافر/٢٠).[4] وتكون

---

(١) المفردات في غريب القرآن، ص/٦٧، ٧٨.

(٢) ولهذا يقال في علم مصطلح الحديث عن الثقة (وهو العدل الضابط): ثبت، وهذا في مجال الأخبار.

(٣) انظر القراءات في: التيسير، ص/١٠٣؛ حجة القراءات، ص/٢٥٤؛ الغاية، ص/٢٤٢؛ النشر، ٢/٢٥٨؛ المهذب، ١/٢٠٩-٢١٠.

(٤) انظر حجة القراءات، ص/٢٥٤؛ الموضح، ١/٤٧٢؛ الكشف، ١/٤٣٤؛ تفسير الطبري، ٧/٢١١-٢١٢.

كلمة (الحق) في القراءة الأولى مفعولًا به، على حين هي في القراءة الثانية صفة لمصدر محذوف مفعول به، والتقدير: يقض القضاءَ الحقَّ.[1]

وبالنظر إلى التفسير ندرك أهمية ورود القراءتين، فالله سبحانه يخبر عن نفسه خبرين، أحدهما يتعلق بقضائه، فهو القضاء الحق، والثاني يتعلق بإنبائه، فكل ما ينبيء به حق.

ولنتفحص الآية الكريمة، فالله يقول: "قل إني على بينة من ربي وكذبتم به، ما عندي ما تستعجلون به، إن الحكم إلا لله يقص (يقض) الحق وهو خير الفاصلين". والسياق هو الحديث عن المشركين فيما يظهرونه من عناد وتكذيب للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وبيانه لهم أنه إنما يتبع ما يوحى إليه، فليس معه خزائن الله، ولا يعلم الغيب، وفي السياق – أيضًا – نهيه صلى الله عليه وسلم أن يلبي دعوة القوم بطرد المؤمنين المستضعفين حوله، ثم وجوب تبليغ دعوة التوحيد الخالصة، وأنه لو اتبع أهواءهم لضل وما كان من المهتدين، ثم تأتي هذه الآية، حيث أمره الله أن يقول لهم بأنه على حجة وبرهان ويقين من ربه، لا كحالكم من اتباع الهوى والشبهات، فقد كذبتم بالله، فما عندي ما تستعجلون به من العذاب أو من الآيات، فالحكم في كل شيء هو لله، ومن ضمنه ما تستعجلون به، فهو الذي يفصل بين الحق والباطل، وبذلك فهو يقص الحق أي يتلوه أو يتبعه في أفعاله سبحانه، وهو يقضي بالحق، فهو خير الفاصلين، فيما يقضي به، أو فيما يفصله لهم في كتابه سبحانه. وفي الآية بعدها يأمره تعالى أيضًا أن يقول لهم أنْ لو كان عندي ما يستعجلون به لقضى الله الأمر بيني وبينكم، أو لو كان ما تطلبونه عندي لأنزلته بكم، فهو أعلم بالظالمين.[2]

ومن هنا ندرك أهمية ورود القراءتين، فالله أمر نبيه بأن يخبرهم بأنه يقض الحق، فلا يظلم الناس شيئًا، فلو وقع بهم ما وقع فبظلمهم وبعدله

---

(١) انظر الهادي، ٢/١٩٢-١٩٣؛ المهذب، ١/٢٠٩-٢١٠.

(٢) انظر فتح القدير، ٢/١٢٧-١٢٨. وانظر الحجة لابن خالويه، ص: ١٤٠-١٤١.

سبحانه، والفاصلة واضحة في تأييد هذا المعنى، فهو خير الفاصلين، والفصل يكون بالحكم والقضاء.

وفي الوقت نفسه فإن ما يخبر به سبحانه هو الحق، فلا ريب فيه ولا تردد، وذلك فيما أخبرهم به من أنه على بينة من ربه، وأنه رسوله وبما طلبه منهم، فله الحكم سبحانه بما يكلفنا به، فكل ذلك قصص حق، فإن أعرضوا فهو خير من يفصل بين الناس، ولو كان عند النبي ما استعجل به هؤلاء لكان القضاء، فالآية التالية توضح أمر القضاء بينه وبينهم لو بقوا على كفرهم وعنادهم، وهذا في العموم قصص حق قد وقع على أمثالهم من قبل، فكأن في الآية تهديدًا لهم بأنه سيقتص منهم كما اقتص من الظالمين من قبل.

ويمكننا حمل المعنى أيضًا على أن معنى (يقص) يتبع، فهو يتبع الحق الذي هو العدل فيما يفعل، ومن هنا ناسب مجيء قوله تعالى (وهو خير الفاصلين).

وبهذا نقف على روعة النص القرآني، حين احتملت هذه الكلمة هاتين القراءتين اللتين تخبران عن قصص الله وعن قضائه، وأن ذلك كله حق.

ومرة أخرى نشير إلى أن الطبري قد وقع هنا فيما حذر منه العلماء، حيث رجح بين القراءتين فقال: "وهذه القراءة (يقض) عندنا أولى القراءتين بالصواب لما ذكرنا لأهلها من العلة (مجيء قوله تعالى: "وهو خير الفاصلين" بعدها)، فمعنى الكلام إذن: ما الحكم فيما تستعجلون به أيها المشركون من عذاب الله وفيما بيني وبينكم، إلا لله الذي لا يجور في حكمه، وبيده الخلق والأمر، يقضي الحق بيني وبينكم وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه"،[1] فالقراءتان متواترتان، لا يجوز ترجيح إحداهما على الأخرى.

٥. كلمة (بُشْرًا) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾، (الأعراف/٥٧).

---

(١) تفسير الطبري، ٧/٢١١-٢١٢.

فهذه الكلمة قرأها عاصم بلفظ (بُشْرًا)، وقرأها الباقون بلفظ (نشرًا) مع اختلاف في الحركات، فقرأها ابن عامر بلفظ (نُشْرًا)، وقرأها حمزة والكسائي وخلف بلفظ (نَشْرًا)، وقرأها الباقون بلفظ (نُشُرًا).[١] ونلحظ كيف احتمل رسمها (دون تنقيط أو تشكيل) كلتا الصورتين، وكيف اختلف لفظهما ومعناهما.

وتوجيه المعنى على القراءات واضح، خاصة بين بشر ونشر، وذلك لتفاوته بينهما، فقراءة (بشرًا) من البشارة، جمع بشير، بينما (نشرًا) من الانتشار، فمن قرأ (نَشْرًا) فمصدر واقع موقع الحال، بمعنى ناشرة أو منشورة، ومن قرأ (نُشُرًا) فجمع ناشر، ومن قرأ (نُشْرًا) فهي مخففة من الضم، والحديث فيها جميعًا عن الرياح النشور، وهي الطيبة التي تنشيء السحاب، وهذا من رحمة الله تعالى.[٢]

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المعنى بين القراءتين متقارب،[٣] وذهب الطبري إلى الترجيح بين القراءات فلم تعجبه قراءة (بشرًا)، فقال: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قراءة من قرأ (نَشرًا و نُشرًا) بفتح النون وسكون الشين وبضم النون والشين قراءتان مشهورتان في قراءات الأمصار، (وأما قراءة الباء)[٤] فلا أحب القراءة بها وإن كان لها معنى صحيح ووجه مفهوم في المعنى والإعراب، لما ذكرنا من العلة".[٥]

---

(١) انظر القراءات في: التيسير، ص/١١٠؛ حجة القراءات، ص/٢٨٥-٢٨٦؛ الغاية، ص/٢٥٥؛ النشر، ٢/٢٦٩-٢٧٠؛ المهذب، ١/٢٤١.

(٢) انظر حجة القراءات، ص/٢٨٥؛ تفسير الطبري، ٨/٢٠٩؛ الحجة لابن خالويه، ص: ١٥٧؛ الموضح، ٢/٥٣٢؛ الكشف، ١/٤٦٥-٤٦٦؛ فتح القدير، ٢/٢٢٣؛ المهذب، ١/٢٤١.

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي، ٨/١٤٤-١٤٥.

(٤) ما بين القوسين (وأما قراءة الباء) ساقط من الأصل أثبته المحقق.

(٥) تفسير الطبري، ٨/٢٠٩. وقد ذكر العلة في ذلك وهي أنها قراءة عاصم وحده بخلف عنه، فروى بعضهم عنه بضم الباء وسكون الشين، وبعضهم بالباء وضمها وضم الشين. ولم يرد تفصيل هذه القراءات عن عاصم إلا عند الطبري، وليس كلامه صحيحاً.

وبالنظر إلى الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرًا (نشرًا) بين يدي رحمته، حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء، فأخرجنا به من كل الثمرات، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾، فقد جاءت في سياق الحديث عن أدلة ربوبيته سبحانه وألوهيته، فهو الذي خلق السموات والأرض، وهو الذي يُغشي الليل النهار، وهو الذي سخر الشمس والقمر والنجوم، فله وحده الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين، ثم يطلب سبحانه من عباده أن يدعوه على حالي التضرع والخُفية، وألا يفسدوا في الأرض بعد إصلاحها بأي نوع من الفساد، وأن يدعوه – أيضًا – خوفًا وطمعًا، فرحمته سبحانه قريب من المحسنين، ثم تأتي هذه الآية، حيث يخبر سبحانه عن نفسه بأنه يرسل الرياح (وقرئت الريح)[1] بين يدي رحمته (بشرًا ونشرًا)، ورحمته هنا هي المطر، أي أنه يرسل الرياح ناشرات ومبشرات بين يدي المطر، فإذا حملت الرياح السحاب الذي ثقل بالماء ساقه الله إلى بلد ميِّت (وقرئت: ميْت)[2] مجدب، فأنزل الله بذلك البلد الماءَ، أو بذلك السحاب الماءَ الذي تحمله، أو بالريح، فأخرج الله بهذا الماء من كل الثمرات، ومثل ذلك الإخراج يخرج الله الموتى من قبورهم يوم القيامة، لعل الناس بذلك يتذكرون (قرئت: تَذَكَّرون و تَذَّكَّرون).[3]

فقراءة البشارة واضحة، حيث استبشار الناس بالرياح التي تؤلف السحاب وتسوقه إلى حيث يشاء الله سبحانه، وبما يكون به من إحياء الموات، وجاء النص واضحًا في آية أخرى بإرسال الرياح مبشرات، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن

---

(١) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف (الريح) على الإفراد، وقرأ الباقون (الرياح) بالجمع، انظر المصادر السابقة في قراءة كلمة (بشراً).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم ويعقوب (مَيْت)، وقرأ الباقون (مَيِّت)، انظر المصادر السابقة في كلمة (بشراً).

(٣) قرأ الأولى حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون الثانية، انظر المصادر السابقة في كلمة (بشرًا).

فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، (الروم/٤٦)، ففيها بيان فوائد الرياح، وبعد هذه بآيتين يقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾، (الروم/٤٨-٤٩)، فهي نصوص واضحة في دلالة البشارة بعد أن كانوا مبلسين أي آيسين أو بائسين.

وقراءة النشر واضحة أيضًا، فالله سبحانه بما يسخره من رياح لتسوق السحاب فينزل الماء حيث يشاء، ليحيي به الأرض بعد موتها، فهذا نشر، ولنا أن نتذكر ما قلناه عند حديثنا عن الكلمة الثانية، فالنشر هو: الإحياء بعد الإماتة، وهو أيضًا البث، وها هو النص يذكر - هنا - كيف يحيي الله بهذا الماء المنزل بلدًا ميتًا، وشبه سبحانه إخراج الموتى من قبورهم (أي إعادة الإحياء) بخروج النبات من الأرض المجدبة الميتة بعد نزول الماء. وبمثل هذا المعنى يقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾، (الشورى/٢٨)، ويقول: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، (الزخرف/١١)، ويقول: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾، (فاطر/٩).

وبهذا تتضح القراءتان (نشراً وبشراً)، بغض النظر عن الحركات في (نشراً) وما تضفيانه على النص من روعة وغزارة في المعنى، وذلك حين تقرأ كلمة واحدة على قراءتين تضيف كل واحدة منهما معنى جديدًا، فهذا إعجاز في الإيجاز، وتنوع في المعاني.

٦. كلمة (يُسَيِّرُكُمْ) في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، (يونس/٢٢).

فهذه الكلمة قرأها ابن عامر وأبو جعفر بلفظ (يَنْشُرُكُمْ)، وقرأها الباقون

بلفظ (يُسَيِّرُكُمْ).[1] ونلحظ كيف احتمل رسمها[2] (دون تنقيط أو تشكيل) كلتا القراءتين، وكيف اختلف لفظهما ومعناهما.

وعن توجيههما، فمر معنى النشر، إلا أنه هنا على الأصل، أي البث والبسط، ودليله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، (الجمعة/١٠)، ولا يبعد معنى الإحياء بعد الإماتة الذي أشرنا إليه، ففي الانتشار في الأرض: طلب للرزق، وهو ضروري لبقاء الحياة، وقيل: النشر – هنا – ضد الطي، أي يفرقكم. أما قراءة (يسيركم) فمن التسيير، أي يحملكم في البر والبحر، ومنه قوله سبحانه: قل سيروا في الأرض،[3] وقيل: هي بمعنى يحملكم على السير ويمكنكم منه.[4]

وذهب بعض العلماء إلى القول بتقارب معنييهما، فيذكر الطبري عن قراءة (ينشركم) أن الله يبعث عباده، فيبسطهم برًا وبحرًا، وهو قريب المعنى من التسيير.[5]

---

(١) انظر القراءات في: التيسير، ص/١٢١؛ حجة القراءات، ص/٣٢٩؛ الغاية، ص/٢٧٥؛ النشر، ٢/٢٨٢؛ المهذب، ٢/٧.

(٢) يذكر ابن الجزري في النشر، ٢/٢٨٢ أنها كتبت في مصاحف أهل الشام وغيرها بفتح الياء ونون ساكنة بعدها شين معجمة مضمومة من النشر، وقرأ الباقون بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة من التسيير، وكذلك هي في مصاحفهم، وقال الداني قبله: "في مصاحف أهل الشام (هو الذي ينشركم) بالنون والشين، وفي سائر المصاحف (يسيركم) بالسين والياء"، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، ص: ١٠٤، ونقل كلامه إبراهيم بن أحمد المارغني في تنبيه الخلان إلى شرح الإعلان بتكميل مورد الظمآن، ص: ٤٦٣. وقال علي محمد الضباع: "(يسيركم) في يونس، كتب في الشامي بتقديم الحرف المطول، وفي غيره بتأخيره، وقرىء ينشركم على الأول، ويسيركم على الثاني"، سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، ص: ١٠٣. ونحن ندرس هذه الكلمة بناء على شدة التشابه في رسم الكلمة على القراءتين.

(٣) انظر حجة القراءات، ص/٣٢٩؛ النشر، ٢/٢٨٢؛ فتح القدير، ٢/٤٥١؛ الهادي، ٢/٢٩٥.

(٤) انظر الموضح، ٢/٦٢٠؛ الكشف، ١/٥١٦؛ المهذب، ٢/٧؛ الهادي، ٢/٢٩٥.

(٥) انظر تفسير الطبري، ١١/١٠٠. وانظر أيضًا تفسير الرازي، ٨/٣٢١.

وبالرجوع إلى الآية الكريمة وما بعدها، نجد أنهما متصلتان في المعنى، فالله سبحانه يقول: "هو الذي يسيركم (ينشركم) في البر والبحر، حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف، وجاءهم الموج من كل مكان، وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين. فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق، يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم، متاع الحياة الدنيا، ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون".

فالسياق قبلها يتحدث عن نعم الله على الناس، وكيف قابل كثير منهم هذه النعم وآثار القدرة بالكفر والجحود، وكيف طلبوا من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن تنزل عليه آية من ربه، وكيف هي عادة الناس حين يذوقون الرحمة بعد الضر الذي يلحق بهم، كيف يمكرون، ثم تأتي هذه الآية دلالة واضحة على مكرهم ذاك، فيخبر سبحانه أنه يسير الناس وينشرهم في البر والبحر، بالمشي والركوب على الدواب في البر، وبركوب السفن في البحر، فإذا كانوا في السفن وجرين بهم بريح طيبة تقودهم إلى حيث يريدون، فهي ليست ريحاً عاصفة، عندها جاءتهم ريح عاصف، وجاءهم بفعلها الموج من كل مكان فاستيقنوا عندها أنهم هالكون، عندها تناديهم فطرتهم بأن يدعوا الله وحده، لا ما يشركون، فهم على علم بأنه لن ينجيهم إلا الله، فغيره لا يضر ولا ينفع، فقالوا عندها: لئن أنجيتنا من هذا الكرب لنكونن من الشاكرين، فما لبث هؤلاء – بعد إذ نجاهم الله – أن فعلوا فعل الجاحدين، لا الشاكرين، فأفسدوا في الأرض تمردًا وعنادًا. وعندها يخاطبهم الله سبحانه: يأيها الناس، ما بغيكم إلا على أنفسكم، لأجل متاع الحياة الدنيا،[1] أو هو متاع الحياة الدنيا،[2] فما هي إلا هذه الحياة الفانية، وبعد ذلك فلا بد من الرجوع إليه سبحانه فيخبر الجميع بما عملوا. وناسب أن تُتبع هذه الآية بالحديث عن حقيقة الحياة الدنيا التي

---

(١) على قراءة حفص، وهي (متاعَ)، وقيل غير ذلك من وجوه الإعراب، انظر فتح القدير، ٢/٤٥١.

(٢) على قراءة الباقين، وهي (متاعُ)، انظر في القراءتين المصادر السابقة لكلمة (يسيركم).

اطمأن إليها هؤلاء المجرمون الجاحدون، فقال سبحانه بعدها: "إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء...".

ومن هنا نلحظ أهمية القراءتين، فالتسيير بيان لنعمة تسخير هذه الأشياء فنسير بها وعليها في البر والبحر، وقد طلب الله من عباده في آيات كثيرة أن يسيروا في الأرض، تارة للاعتبار، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، (يوسف/ ١٠٩)،[١] وتارة للنظر في آثار قدرة الله كما في قوله سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾، (الحج/٤٦)،[٢] وتارة لطلب الرزق كما في قوله تعالى بلفظ المشي: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾، (الملك/١٥).

أما النشر: فهو ببثنا ونشرنا في الأرض لتحصيل ما بث سبحانه في هذه الأرض من نعم كثيرة، فلا يضيره سبحانه أن يمنح عباده ما طلبوا من الرزق ولو كانوا كثيرين، وهذا ما قد تفيده كلمة (ينشركم) حيث البث، ثم إن القوم الذين كذبوا وجحدوا كانوا في حكم الهلكى، فلما تداركتهم رحمة الله بعد دعائهم فكأن ذلك إحياء بعد موت، والله أعلم.

٧. كلمة (تَبْلُو) في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾، (يونس/ ٣٠).

وهذه الكلمة قرأها حمزة والكسائي وخلف بلفظ (تَتْلُو)، وقرأها الباقون

---

(١) وقد ذكر الله عدة آيات أخرى بهذا المعنى تقريبًا، كما في الروم/٩، فاطر/٤٤، غافر/٢١، ٨٢، محمد/١٠. وبلفظ: فسيروا، أو قل: سيروا، فهناك آيات كثيرة أيضًا منها: آل عمران/١٣٧، الأنعام/١١، النحل/٣٦، النمل/٦٩، الروم/٤٢.

(٢) ومثلها في الدلالة على آثار قدرة الله وكيف بدأ الخلق: العنكبوت/٢٠.

بلفظ (تَبْلُو).[1] ونلحظ كيف احتمل رسمها (دون تنقيط أو تشكيل) كلتا القراءتين، وكيف اختلف لفظهما ومعناهما.

وعن توجيه القراءتين فقد قيل: بأن (تبلو) من الاختبار، وذلك حين تعلم كل نفس ما قدمت من حسنة أو سيئة. أما (تتلو) فمن التلاوة، أي تقرأ كل نفس ما أسلفت، بدليل قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾، (الإسراء/ ١٤)،[2] وقيل: هي من تتلو، بمعنى تتبع، أي تتبع كل نفس ما أسلفت،[3] فأعماله تقوده إلى مصيره، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وذهب بعض العلماء إلى القول بتقارب المعنيين، فالطبري يذكر أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة القرّاء، وأنهما متقاربتان في المعنى.[4]

ولعل هذه المعاني واضحة من خلال نص الآية الكريمة، فالله سبحانه يقول: "هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون"، وجاءت بعد السياق السابق الذي ذكرناه عند كلمة (يسيركم)، فلما شرع سبحانه في الحديث عن الدنيا ومَثلها وزوالها، بين أنه يدعو إلى دار السلام، وبين كذلك جزاء المحسنين وأمنهم وسلامتهم من الذل يوم القيامة، ثم مصير الذين كسبوا السيئات، وكيف يرهقهم الذل وتسود وجوههم، ثم يتحدث السياق عن الحشر، وكيف يَحشر المشركين مع شركائهم وشيء من المخاصمة بينهم، إلى أن يقول تعالى: هنالك تبلوا...، وبعد ذلك يشرع سبحانه في تعداد نعم أخرى من نعمه على خلقه.

فالإشارة بـ: هنالك، هي إلى ما سبق الحديث عنه، حيث يوم الحشر، فلا

---

(١) انظر القراءات في: التيسير، ص/١٢١؛ حجة القراءات، ص/٣٣١؛ الغاية، ص/٢٧٥؛ النشر، ٢/٢٨٣؛ المهنب، ٢/٩.

(٢) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ١٨١؛ الموضح، ٢/٦٢٢؛ الكشف، ١/٥١٧؛ حجة القراءات، ص/٣٣١؛ النشر، ٢/٢٨٣؛ المهذب، ٢/٩؛ الهادي، ٢/٢٩٧.

(٣) انظر حجة القراءات، ص/٣٣١؛ تفسير القرطبي، ٨/٣٣٤.

(٤) انظر تفسير الطبري، ١١/١١٢. وانظر أيضًا تفسير الرازي، ٨/٣٤٨.

بد من عرض الأعمال، فتأتي القراءة (تبلو) لأن الموقف عصيب عظيم، وفيه بلاء شديد للناس، وكل نفس تنتظر ما يقضى بحقها، ولا يدري صاحبها أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله، أمن أهل السعادة هو أم من أهل الشقاوة؟ ويا له من موقف عصيب، فناسب أن يعبر بكلمة (تبلو) للإشارة إلى هذه المعاني.

أما قراءة (تتلو)، فهي أيضًا مناسبة جدًا لأحداث يوم القيامة، فعلى معنى التلاوة التي هي القراءة، فهي كقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، (الإسراء/١٣-١٤)، وقريب منها قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، (الكهف/٤٩).

وبناء عليه يكون المعنى: في ذلك اليوم الذي يحشر الله فيه الخلائق، عندها تختبر النفوس على ما قدمت، أو تتلو النفوس ما قدمت من أعمال، خيرها وشرها، فالمرد إلى الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا خداع، ورُدوا إلى الله مولاهم الحق، أما ما كانوا يفترونه من الآلهة والأطماع والأهواء فقد ضلت كلها، لأنه لا حقيقة لها، فهم اليوم أمام المشهد الذي طالما كذبوا به، واستبعدوا وجوده.

أما من قال: بأن تتلو هي بمعنى الاتباع، فهو معنى ممكن أيضًا، كقوله تعالى عن القمر: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾، (الشمس/٢)، فتلا بمعنى تبع،[1] فكل نفس تتبع ما قدمت، دل على ذلك قوله تعالى: "يوم ندعو كل أناس بإمامهم، فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يُظلمون فتيلًا، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا"، (٧١-٧٢)، فقد ورد عن ابن

(١) انظر المفردات، ص/٧٥.

عباس رضي الله عنهما قوله: بأن الإمام – هنا – هو كتاب كل إنسان الذي فيه عمله، وقيل: غير ذلك.[1]

وعلى كل الاحتمالات فهاتان القراءتان قد أعطتا لفظين مختلفين لكلمة واحدة، مما أثرى المعنى، ونوّع الأحداث في ذلك اليوم العصيب، فقد سدت كل قراءة مسد كلمة أخرى تستدعي نزول آية ثانية.

٨. كلمة (بُشْراً) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾، (الفرقان/٤٨).

وهذه الكلمة يقال فيها ما قيل في الكلمة الخامسة من قراءات وتوجيه، ولكننا نعلق على تفسيرها وسياق مجيئها، فالآية متصلة جدًا بما بعدها، وهما: "وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته، وأنزلنا من السماء ماءً طهورًا. لنحيي به بلدة ميتًا ونسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسيّ كثيراً".

وقد جاءت الآيتان في سياق الحديث عن بعض نعم الله على الإنسان، فقبلها كان الحديث عن ربنا سبحانه وتعالى، كيف مد الظل، ولو شاء سبحانه لجعله ساكنًا، وجعل الشمس عليه دليلًا، ثم كيف قبضه الله حين تقع أشعة الشمس مكانه، وأنه سبحانه جعل لنا الليل لباساً والنوم راحة، وجعل النهار نشوراً، أي زمان بعث من ذلك السبات، فجعل سبحانه النهار حياة مقابل النوم الذي هو شبيه بالموت، ثم تأتي الآية موضوع بحثنا، وبعدها الاستمرار بعرض بدائع صنعه وجليل نعمه سبحانه.

فالمعنى العام يكاد يكون شبيهاً بما ذكرنا عند الآية من سورة الأعراف، فهي رياح مرسلة بشراً ونشراً بين يدي رحمته، وهنا اختصار حيث الحديث مباشرة عن إنزال هذا الماء، ووصفه بأنه طهور، والغاية هي لإحياء البلدة الميتة وسقي الأنعام والإنسان، وليس هنا حديث عن إنبات نبات، وبهذا فلا تشبيه بالبعث يوم القيامة.

---

(١) فتح القدير، ٣/٢٥٢. وانظر تفسير الطبري، ١١/١١٢-١١٣.

ومن هنا: فما ذكرناه عن القراءات هناك نذكره هنا بتمامه.

٩. كلمة (بُشْرًا) أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾، **(النمل/٦٣).**

ويقال فيها أيضًا ما قيل في الكلمة الخامسة من قراءات وتوجيه، ولكننا نعلق على تفسيرها وسياق مجيئها، فالآية هي: "أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته، ءإله مع الله؟ تعالى الله عما يشركون".

وقبل هذه الآية فالسياق متصل في إقامة الأدلة على ألوهيته سبحانه، فهل الله خير أمّا يشركون؟ فهل من خلق السموات والأرض وأنزل الماء فأنبت به الحدائق، ومن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل الجبال الرواسي وبين البحرين حاجزًا، ومن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلهم يخلف بعضهم بعضاً في الأرض، فهل من فعل هذه الأمور وغيرها خير أم ما يشركون من دونه سبحانه؟ وهل معه إله كما يقولون؟ ثم تأتي هذه الآية لتتحدث عن نعمتي الهداية في ظلمات البر والبحر، وإرسال الرياح بشراً ونشراً بين يدي رحمته، ءإله مع الله؟ تعالى الله عما يشركون.

وبعد هذه الآية يستمر السياق يلهب المشاعر لإقامة أدلة التوحيد، فهل من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض معه إله؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

ومن هنا نلحظ التشابه بين سياق الآية هنا وفي الآيتين السابقتين في الفرقان والأعراف، ولكن لم يكن هنا في الآية حديث عن الإنبات، بل كان الحديث عنه في آية سابقة فلا داعي للتكرار، ثم هناك حديث عن البعث دون تشبيه له بإخراج النبات كما في الأعراف، فقد جاء بعد الآية من النمل قوله: "أمن يبدأ الخلق ثم يعيده"، والإعادة يقصد منها البعث، وكذلك قال بعدها: "قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون".

ومن هنا: فما ذكرناه عن القراءات هناك نذكره هنا بتمامه أيضًا.

١٠. كلمة (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾، (العنكبوت/٥٨).

فهذه الكلمة قرأها حمزة والكسائي وخلف بلفظ (لَنُثْوِيَنَّهُمْ)، وقرأها الباقون بلفظ (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ)، وأبدل أبو جعفر الهمز ياءاً.[١] ونلحظ كيف احتمل رسمها (دون تنقيط أو تشكيل) كلتا القراءتين، وكيف اختلف لفظهما ومعناهما.

وعن توجيه القراءتين، فقد قيل عن القراءة (لنثوينهم) بأنها من أثويت. أي: لنقيمنهم، يقال: ثوى الرجل بالمكان إذا أقام به، وأثواه غيره إذا جعله بذلك المكان، ودليل ذلك قوله تعالى لنبيه محمد: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾، (القصص/٤٥) أي مقيمًا. وأما من قرأ (لنبوئنهم) فهي من بوأت، أي لننزلنهم، تقول العرب: بوأت فلانًا منزلًا أي أنزلته، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾، (يونس/٩٣)، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾، (الحشر/٩)، أي اتخذوها.[٢] وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بتقارب معنييهما.[٣]

وإذا نظرنا في الآية، فقد جاءت في معرض الحديث عن العباد المؤمنين، حين أمرهم الله تعالى بعبادته، وأخبرهم أن كل نفس ذائقة الموت، وأن الرجوع أخيرًا إلى الله، ثم جاءت هذه الآية، حيث يقول سبحانه فيها: "والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم (لنثوينهم) من الجنة غرفًا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون"، ثم يستمر

---

(١) انظر القراءات في: التيسير، ص/١٧٤؛ حجة القراءات، ص/٥٥٤-٥٥٥؛ الغاية، ص/٣٥٦-٣٥٧؛ النشر، ٢/٣٤٣-٣٤٤؛ المهذب، ٢/٢٤٨.

(٢) حجة القراءات، ص/٥٥٤-٥٥٥؛ الموضح، ٢/٩٩٨-٩٩٩؛ الكشف، ٢/١٨١؛ البحر المحيط، ٧/١٥٧؛ الغاية، ص/٣٥٦-٣٥٧.

(٣) انظر تفسير الطبري، ٢١/١٠؛ البحر المحيط، ٧/١٥٧؛ الحجة لابن خالويه، ص: ٢٨١.

الحديث بعد ذلك عن رزقه سبحانه وعلمه وسمعه، وخلقه السموات والأرض... الخ.

فالآية واضحة الدلالة، حيث ما وعد الله به المؤمنين يوم القيامة، بأن يبوئهم (يثويهم) غرفًا في الجنة، تجري من تحت هذه الغرف الأنهار، خالدين في هذه الغرف، أو في الجنة، ونعم هذا الأجر للعاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون.

وعودة إلى القراءتين، فقراءة (لنبوئنهم) هي من الفعل (بوأ)، وكما يقول الراغب الأصفهاني: فإن "أصل البَواء هو مساواة الأجزاء في المكان، وذلك خلاف النَبْوة الذي هو منافاة الأجزاء، يقال: مكان بواء إذا لم يكن نابيًا بنازله، وبوأت له مكانًا سويته فتبوّأ، وباء فلان بدم فلان يبوء به، أي ساواه، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾، (يونس/ ٨٧)، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾، (يونس/٩٣)، وقال: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾، (آل عمران/١٢١)، وقال: ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾، (يوسف/٥٦)".[1]

ومن هنا ندرك أن معنى بوأ هو المساواة بين المُبَوَّأ والمُبَوَّأ به، فهناك علاقة مساواة واستحقاق، فالله يبويء المؤمنين الغرف في الجنة، لأنهم بإيمانهم وعملهم الصالح قد استحقوا هذه الغرف، فقد استوت درجة عملهم بمنزلة هذه الغرف، والغرفة هي المنزلة، فقد سمى الله منازل الجنة غرفًا، فبعض المؤمنين أعلى من بعض في درجات الجنة، بناء على تفاوت إيمانهم وعملهم الصالح في الدنيا، فكل يُبَوَّأ المكان الذي يستحقه، وكل ذلك بفضل الله تعالى وعدله.

وبهذا ندرك سر الحديث في هذه الآية نفسها عن العمل، حيث يقول الله تعالى: "نعم أجر العاملين"، كما ندرك سر المجيء بالجمع، حيث قال تعالى (غرفًا) ولم يقل: غرفة، فلو كانت بالمفرد لعلم بأنها غرفة واحدة متشابهة للجميع،

---

(١) المفردات، ص/٦٩.

ولكنها غرف يأخذ كل واحد ما يستحقه، ولم تأت بصيغة المفرد إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾، (الفرقان/٧٥)، وذلك أن الحديث قبلها كان عن عباد الرحمن، وذكر صفاتهم الكثيرة، فمن اتصف بها فقد استحق الغرفة التي هي – هنا – المنزلة الرفيعة من الجنة، فهي مكان محدد، لا كما لو أطلقنا القول بأنها غرف، فالجمع على أنها منازل ودرجات، والإفراد على أنها درجة معلومة.

وتأييدًا لهذا المعنى فإن الله سبحانه قال عن الكافرين أيضًا: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، (البقرة/٦١)، أي أنهم فعلوا أو اعتقدوا شيئًا استحقوا بسببه غضب الله، فكأن فعلتهم بلغت مستوى يستحقون على أثره غضب الله تعالى.

أما قراءة (لنثوينهم)، فهي من الفعل ثوى، والثَّواء – كما يقول الأصفهاني – هو "الإقامة مع الاستقرار، يقال: ثوى يثوي ثَواءً، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾، (القصص/٤٥)، وقال:﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، (الزمر/٦٠)، وقال: ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾، (محمد/١٢)، وقال سبحانه: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، (الزمر/٧٢، و غافر/٧٦)، وقال: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾، (الأنعام/١٢٨)".[1]

وتأكيدًا لهذا المعنى فإن الله سبحانه ذكر المثوى في مقابل التقلب. فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾، (محمد/١٩)، فأفادت الكلمة معنى الاستقرار، وهكذا نفهم الآيات الأخرى المتحدثة عن المثوى في الدنيا، فهو ليس بمعنى الخلود، إنما الإقامة مع الاستقرار، فقد قال الله عن يوسف صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾،

---

(١) المفردات، ص/٨٤.

(يوسف/٢١)، وقال: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾، (يوسف/٢٣)، وغير ذلك من الآيات.

وبهذا نفهم القراءتين على أتم وجه زيادة على ما ذكره علماء توجيه القراءات، فمن قرأ (لنبوئنهم) فهو ليس إنزالًا لهم في الغرف فحسب، بل إنزالًا لهم في الدرجة التي يستحقونها، مما يساوي ما قدموا من صالحات. ومن قرأ (لنثوينهم) فهو ليس إقامة فحسب، بل إقامة خالدة، ومن هنا نفهم قوله تعالى: (خالدين فيها) بعدها على أنه ليس بمعنى الخلود في الغرف، فقد أنبأت عن هذا المعنى كلمة (لنثوينهم)، ولكنه الخلود الذي يفيد نفي الموت عنهم.

١١. كلمة (كَبِيْراً) في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾، (الأحزاب/٦٨).

وهذه الكلمة قرأها عاصم بلفظ (كَبِيْراً)، وقرأها الباقون بلفظ (كَثِيْراً).[١] ونلحظ كيف احتمل رسمها (دون تنقيط أو تشكيل) كلتا القراءتين، وكيف اختلف لفظهما ومعناهما رغم تقاربه. ونلحظ أيضًا أن اختلاف القراء في هذه الكلمة ليس كاختلافهم في كلمة (كبير) وهي الكلمة الأولى في دراستنا، وهذا من أقوى الأدلة على أن القراءة ليست بالتشهي، إنما هي أداء لما أخذه القراء عن شيوخهم.

وقد ذهب الطبري إلى ترجيح قراءة (كثيرًا)، والسبب في ذلك كما يقول هو لإجماع الحجة من القراء عليها،[٢] وهذا كلام مردود كما سبق وبينا أكثر من مرة، فهما قراءتان متواترتان.

أما عن توجيه القراءتين فقد مر الحديث عنه عند الكلمة الأولى، ولكننا نزيد هنا أموراً متعلقة بالآية ومفهومها.

---

(١) وهناك من يضيف إلى عاصم هشامًا (راوي ابن عامر) بخلف عنه، انظر القراءات في: التيسير، ص/١٧٩؛ حجة القراءات، ص/٥٨٠؛ الغاية، ص/٣٦٥؛ النشر، ٢/ ٣٤٩؛ المهذب، ٢/٢٧٢.

(٢) انظر تفسير الطبري، ٢٢/٥٠.

فالله سبحانه ذكر قبل هذه الآية الحديث عن الكافرين ولعنهم، وكيف أعد لهم عذاب السعير، وأنهم مخلدون فيه، وليس لهم ولي ولا نصير، ووصف حالهم في النار وهم تتقلب وجوههم فيها قائلين "يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا"، ثم يقول تعالى عنهم: "وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا (كثيراً)".

فقراءة (كبيراً) هي كما قلنا عن (كبير) في وصف إثم الخمر والميسر وأنه عظيم، وهنا فالحديث عن عظم اللعن الذي يتمناه أتباع السادة والكبراء بسبب إضلالهم إياهم، فهم من شدة حنقهم عليهم، وأنهم السبب فيما هم فيه من العذاب يدعون بهذا الدعاء عليهم باللعن الكبير العظيم الشديد الثقيل الموقع.(١)

أما قراءة (كثيراً) فهو وصف للكثرة، فالأتباع يدعون ليس باللعن الواحد، بل اللعن الكثير على سادتهم وكبرائهم، كثرة تشمل النوع وتكرار اللعن وعدد اللاعنين كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾، (البقرة/ ١٥٩)، فاللعن كما قال الأصفهاني هو "الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وهو في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته تعالى وتوفيقه".(٢)

ولعل القراءتين تبينان شدة ما عليه هؤلاء الأتباع، وفي ذلك عبرة لمن يعتبر، ولنتذكر حسرتهم وهم يقولون: "يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا" فقد استحقوا ما هم فيه من الخزي والندامة حين ظلموا أنفسهم واستبدلوا طاعة السادة والكبراء بطاعة الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهم يدعون باللعن الكبير من جهة، والكثير من جهة أخرى، على أولئك الذين أضلوهم السبيلا.

---

(١) انظر فتح القدير، ٤/٢٩٧.

(٢) المفردات، ص/٤٥١.

١٢. كلمة (عِبَادُ) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾، (الزخرف/١٩).

فهذه الكلمة قرأها نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بلفظ (عِنْدَ)، وقرأها الباقون بلفظ (عِبادُ).[١] ونلحظ كيف احتمل رسمها (دون تنقيط أو تشكيل) كلتا القراءتين، إذ رسمت دون ألف كما هو شائع في الرسم، وكيف اختلف لفظهما ومعناهما.

وتوجيه هاتين القراءتين واضح، وذلك لتفاوت ما بين المعنيين، فقراءة (عباد) هي جمع عبد، وقد وصف الله الملائكة بأنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾، (الأنبياء/٢٦). وقراءة (عند) تفيد معنى ظرف المكان، أي إنهم عنده سبحانه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾، (الأعراف/٢٠٦).[٢]

وقد ذهب الرازي إلى ترجيح قراءة (عند)، وذلك لعدة أسباب، فهي موافقة لقوله تعالى "إن الذين عند ربك"، ثم إن كل الخلق عباده، فلا مدح لهم فيه، ثم إن التقدير أن الملائكة يكونون عند الرحمن، لا عند هؤلاء الكفار، فكيف عرفوا كونهم إناثًا؟[٣]

وإذا نظرنا إلى سياق الآية، فالآيات من بداية السورة تتحدث عن ألوهيته سبحانه وآثار قدرته، وما سخره لعباده من أنواع النعم، ثم يبدأ الحديث عن مقولات المشركين، ومنها: أنهم جعلوا لله من عباده جزءًا، أي عدلًا، أو بنات على قولين، وهو قول قبيح، يدل على سوء معتقدهم بالله تعالى، فأجابهم الله: هل أعطاكم الله البنين، واتخذ البنات؟ فإذا بشِّر أحدهم بالأنثى غضب واسود

---

(١) انظر هذه القراءات في: التيسير، ص/١٩٦؛ حجة القراءات، ص/٦٤٧؛ تفسير الطبري، ٢٥/٥٨ (ولم يرجح بينهما)؛ الغاية، ص/٣٨٨؛ النشر، ٢/٣٦٨؛ المهذب، ٢/٣٤٠.

(٢) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ٣٢٠؛ الموضح، ٣/١١٤٧-١١٤٨؛ الكشف، ٢/٢٥٦-٢٥٧؛ حجة القراءات، ص/٦٤٧؛ المهذب، ٢/٣٤٠.

(٣) انظر تفسير الرازي، ١٤/٨٦. وكلامه في الترجيح مردود إذ القراءتان متواترتان.

وجهه وهو كظيم، وهكذا فالحديث عن سوء معتقدهم بالله وقولهم عليه سبحانه القول العظيم، إلى أن جعلوا الملائكة الذين هم عباد (عند) الرحمن إناثًا، بمعنى أنهم قالوا عن الملائكة وحكموا عليهم بأنهم بنات الله، فقال الله تعالى: "وجعلوا الملائكة الذين هم عباد (عند) الرحمن إناثًا، أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم ويُسألون".

ومن هنا فقد أخبر الله عن الملائكة خبرين، الأول أنهم عباد الرحمن (وهو ما تفيده قراءة عباد)، فكيف يكون العبد ابنًا أو بنتًا لله؟ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، فأفادت هذه القراءة تكذيب هؤلاء في أن الملائكة بنات الله، فالعبد لا يكون ولدًا، ولذلك قال الله بعد هذه الجملة في الآية نفسها: "أشهدوا خلقهم"؟ أي: أحضروا خلق الله إياهم؟ فهي الشهادة التي بمعنى الحضور، وهذا تهكم بالمشركين، وتجهيل لهم، وجاء هذا المعنى - أيضًا - في آية أخرى، وهي قوله سبحانه: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾، (الصافات/١٥٠)، ولذلك توعدهم الله على مقولتهم تلك، وقال: "ستكتب شهادتهم ويسألون"، فسيجدونها مكتوبة في صحائف أعمالهم يوم القيامة، ويُسألون عنها يوم القيامة.

وأما الخبر الثاني: فإنهم -أي الملائكة- عند الرحمن (بناء على قراءة عند)، والظرف - هنا - لا يعني قرب المسافة، بل علو المنزلة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، (النساء/١٧٢)،[1] وقد مدحهم الله، وبين أنهم عنده في أكثر من آية، منها: قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾، (فصلت/٣٨)، وقال الله عن الشهداء أيضًا: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، (آل عمران/١٦٩)، وذلك لبيان علو منزلتهم في الجنة. وبهذا فقد أفادت هذه القراءة معنًى ضروريًا للسياق، فنفي أن الملائكة بنات الله لا يعني التقليل من شأنهم، فهم في منزلة عالية عند الله،

---

(١) انظر حجة القراءات، ص/٦٤٧.

أو أنهم بالرغم من كونهم عند الله في هذه المنزلة فلا يعني هذا شبهة اتخاذهم بنات، فلا بد من التفريق بين الأمرين، والله أعلم.

١٣. كلمة (فَتَبَيَّنُوا) في قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، (الحجرات/٦).

وهذه الكلمة يقال فيها ما قيل في الكلمة الثالثة التي درسناها في سورة النساء، وذلك من حيث القراءة والتوجيه، ولا بد لنا هنا من ربط المعنيين بسياق الآيات.

فسورة الحجرات مليئة بالتوجيهات والآداب، ومنها ما ذكره الله في هذه الآية من قوله سبحانه: "يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (فتثبتوا) أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"، وللآية سبب نزول، نختصره في أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل الوليد بن عقبة إلى الحارث بن ضرار الخزاعي، ليقبض زكاة مال قومه، وفي الطريق فَرَقَ الوليد (أي خاف) فرجع، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الحارث منعه الزكاة، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم بعثًا إلى الحارث، فلما التقوا به وسألوه عن أمره، ورد عليهم بالحقيقة، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونفى ما قاله الوليد، فأنزل الله هذه الآية.(١)

ولنا أن نتخيل هول ما سيكون لو أنّ بعْثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل قوم الحارث بناء على مقولة الوليد تلك، وهذا معنى قوله تعالى "أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"، أي كراهة أن تصيبوا، أو لئلا تصيبوا قومًا بجهالة، فالحال أنكم تجهلون حقيقتهم بناء على هذا النبأ الكاذب، ولذلك ذكرهم الله بأن فيهم رسول الله، لو يطيعهم في كثير من الأمر لأصابهم العنت، أي الجهد والتعب والمشقة.

---

(١) انظر فتح القدير، ٥/٦٣. وهناك روايات كثيرة، لكن هذه أحسنها كما قال ابن كثير وأكده الشوكاني.

ولشدة هذا الأمر وخطورته على المجتمع الإسلامي، سواء على مستوى الأفراد أم الجماعات والدول، فلا بد من التثبت والتبين من الأخبار، كما سبق وذكرنا ذلك في الكلمة من سورة النساء.

ولعل الآية – هنا – توضح لنا – أيضًا – موضوع التفريق بين التبين والتثبت، فالتبين بملاحظة ومشاهدة آثار النبأ، والتثبت بالتأكد من الخبر بتفحص حال المنبيء، ولا يعني كون الآية متحدثة عن الأنباء (بنبأ) أنها مقصورة على التثبت، بل بالنظر إلى آثار النبأ أيضاً، فمدلوله -كما تقول الرواية في سبب النزول- أن القوم ارتدوا، فلو كان هذا صحيحاً لبدت آثار هذا النبأ على القوم، وهذا يحتاج إلى البيان.

أما ما ذكره بعض المفسرين من أن المراد هو الأناة وعدم العجلة فهذا ليس تفسيراً للتبين أو التثبت، بل ما يرشد الله إليه بأن لا نسارع إلى التصديق، بل نتمهل ثم نتبين ونتثبت.

وبهذا نلحظ أهمية القراءتين، وما توسعان به من المعنى، فيكفي في صدق النبأ ثبوته أو بيان آثاره، والله تعالى أعلم.

١٤. كلمة (بِضَنِين) في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، (التكوير/ ٢٤).

وهذه الكلمة قرأها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس -أحد رواة يعقوب- بلفظ (بِظَنِيْنٍ)، وقرأها الباقون بلفظ (بِضَنِيْنٍ).[١] ونلحظ كيف احتمل رسمها (دون تنقيط أو تشكيل) كلتا القراءتين، وكيف اختلف لفظهما ومعناهما. ولا يظنن ظان بأن رسمهما مختلف، فقد رسمت بالضاد في جميع المصاحف كما نص على ذلك الطبري وأبو حيان وابن الجزري وغيرهم،[٢] وقال محمد سالم محيسن نقلًا عن الجعبري: "إن وجه (بضنين) أنه رسم برأس معوجّة، وهو غير طرف فاحتمل القراءتين".[٣]

---

(١) انظر القراءات في: التيسير، ص/ ٢٢٠؛ حجة القراءات، ص/ ٧٥٢؛ الغاية، ص/ ٤٣١-٤٣٢؛ النشر، ٢/ ٣٩٨-٣٩٩؛ المهذب، ٢/ ٤٤٨.

(٢) انظر تفسير الطبري، ٣٠/ ٨٣؛ البحر المحيط، ٨/ ٤٣٥؛ النشر، ٢/ ٣٩٩.

(٣) الهادي، ٣/ ٣٣٧. وانظر أيضاً سمير الطالبين، ص: ١٠٥، وينقل كلام الجعبري أعلاه؛ وانظر المقنع، ص: ٩٢.

ولعل توجيه القراءتين واضح لتفاوت ما بين اللفظين، فعلى قراءة (بظنين) فهي بمعنى المتهم، من ظننت فلانًا أي اتهمته، فالمعنى: ليس محمد صلى الله عليه وسلم بمتهم على الوحي أنه من الله، أو أن يأتي من عنده بزيادة أو ينقص من عنده شيئًا. وعلى قراءة (ضنين) فهي بمعنى بخيل، والمعنى أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لا يبخل بما آتاه الله من العلم والقرآن بكتمانه، ولكن يرشد ويعلم ويؤدي عن الله عز وجل،[١] وهذا توجيه واضح للقراءتين.

وقد ذهب الطبري إلى ترجيح قراءة (بضنين) فقال: "وأولى القراءتين عندي بالصواب: ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة وإن اختلفت قراءتهم به، وذلك (بضنين) بالضاد، لأن ذلك كله كذلك في خطوطها، فإذا كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين بالصواب في ذلك: تأويل من تأوله (وما محمد على ما علمه الله من وحيه وتنزيله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس، بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتتعلموه)".[٢]

بينما ذهب الآلوسي إلى ترجيح قراءة (بظنين) فيقول: "ورجحت هذه القراءة، لأنها أنسب بالمقام، لاتهام الكفرة له صلى الله عليه وسلم، ونفي التهمة أولى من نفي البخل، وبأن التهمة تتعدى بعلى، دون البخل، فإنه لا يتعدى بها إلا باعتبار تضمينه معنى الحرص ونحوه"، ثم يرد على الطبري في ترجيحه قراءة (بضنين) لموافقتها رسم المصاحف فيقول: "لكن قال الطبري: بالضاد خطوط المصاحف كلها، ولعله أراد المصاحف المتداولة، فإنهم قالوا: بالظاء خط مصحف ابن مسعود رضي الله عنه، ثم هذا لا ينافي قول أبي عبيدة: إن الظاء والضاد في الخط القديم لا يختلفان إلا بزيادة رأس إحداهما على الأخرى زيادة يسيرة قد تشتبه كما لا يخفى".[٣]

---

(١) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ٣٦٤؛ الموضح، ٣/١٣٤٤؛ الكشف، ٢/٣٦٤؛ حجة القراءات، ص/٧٥٢؛ المهذب، ٢/٤٤٨؛ الهادي، ٣/٣٣٧؛ الغاية، ص/٤٣٢.

(٢) تفسير الطبري، ٣٠/٨٣.

(٣) الآلوسي، محمود شكري، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت)، ٣٠/٦١. ويمكننا إضافة كلام أبي عبيدة هذا الذي نقله الآلوسي إلى ما نقلناه عن الطبري وأبي حيان وابن الجزري عن كيفية رسم الكلمة في مصاحف الأمصار.

ونحن بدورنا نرد عليهما وعلى كل من يرجح بين قراءات متواترة ثابتة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فلا داعي للترجيح، فالكلمة رسمت على شكل (بضنين) لتحتمل القراءتين معاً، فيمكننا قراءتها (بظنين) بزيادة رأس الضاد قليلًا فتصبح ظاءً، وهذا ما ذكره أبو عبيدة، وذكره الجعبري، كما نقلنا قوله أعلاه، فالمسألة ليست مشكلة في تقبل القراءتين، ولا في أن يكون حتى مما اختلف رسمه في مصاحف الأمصار، وهناك عدد كبير من هذا النوع يقارب ستة وثلاثين موضعاً.

وإذا نظرنا إلى السياق نجد قبل هذه الآية جملة من الأقسام بأن هذا القرآن "قول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاعٍ ثم أمين" وهذا حديث عن جبريل عليه السلام، ثم يأتي الحديث عن محمد صلى الله عليه وسلم: "وما صاحبكم بمجنون، ولقد رآه بالأفق المبين، وما هو على الغيب بضنين (بظنين)، وما هو بقول شيطان رجيم، فأين تذهبون، إن هو إلا ذكر للعالمين..." .

فالآيات تخبر -والخطاب لأهل مكة- أن صاحبهم -وهو محمد صلى الله عليه وسلم- ليس مجنوناً، وهو الذي رأى جبريل بالأفق المبين، أي رآه على صورته، وما هو على الغيب بضنين (بظنين)، ثم يخبر الله بأن القرآن ليس قول شيطان، وإنما هو ذكر للعالمين، لمن شاء منكم أن يستقيم.

فالسياق حافل وحاشد بما أثاره المشركون من شبهات حول هذا الوحي، ومن هنا ندرك كثرة هذه الأقسام التي تدل على ما عليه القوم من إنكار وتكذيب، فهم ليسوا مترددين، بل منكرين، لأن تسليمهم بأن هذا كلام الله يستدعي إسلامهم، وهم استكبروا عن ذلك، واتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون، فخاطبهم الله بهذا الخطاب الواضح، ونفى عن رسوله ما ألصقه به هؤلاء.

وفائدة القراءتين هنا عظيمة، تخدم الغرض من نزول الآيات، إذ سدت كل واحدة مسد آية أخرى، وردّت كل واحدة منهما شبهة مستقلة، فالله تعالى نفى عن نبيه ما اتهم به فيما يخبر به عن الله تعالى (وهي قراءة بظنين)، تحريفًا أو

زيادة أو نقصانًا، فما هو إلا مبلِّغ عن الله، ودوره لا يعدو التبليغ والبيان كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (النحل/ ٤٤).

ونفى عنه – أيضًا – بخله وتقصيره بتبليغ الرسالة (وهي قراءة بضنين)، وأنّى لرسول أن يعصي الله في أمر الرسالة، فيقصّر فيها، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، (المائدة/٦٧).

الخاتمة والنتائج

وهكذا تتضح معالم روعة القرآن الكريم في جانب اختلاف القراءات القرآنية في الكلمات التي اتفق رسمها على حين اختلفت حروفها ومعانيها، وبينا الوجوه اللائقة بها والتي تخدم بشكل رئيس الغرض الذي من أجله نزلت الآيات، وسياق الآية في السورة أو في مجموعة الآيات، ولا يمكننا إلا أن نقف مبهورين أمام إعجاز هذا القرآن من جهة، وأمام ما بذله الصحابة الكرام من جهد واضح مميز في كتابة الكلمة القرآنية، مما يقبل الوجوه المتنوعة في قراءتها مما هو ثابت عن رسول الله عن جبريل عليهما الصلاة والسلام، عن الله رب العالمين، ولا شك أن هذا أمر قد وُفقوا إليه كما أشار إلى ذلك أكثر من واحد من علماء القراءات.(١)

ومما سبق من الدراسة يمكننا ذكر النتائج التالية:

١ – في القرآن بعض كلمات اتفق رسمها، ولكن اختلفت حروفها ومعناها من قراءة لأخرى، مما غير جذر الكلمة، وأثرى معناها.

٢ – بالرغم من الاختلاف بين هذه الكلمات إلا أنه اختلاف تنوع وإثراء لا اختلاف تضاد وتعارض.

٣ – يرجع الاختلاف في هذه الكلمات إلى اختلاف القراءات المتواترة فيها، واختلاف القراءات ناتج عن وجود أكثر من وجه لقراءتها، وهذه الوجوه هي التي عناها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف.

٤ – هناك إحدى عشرة كلمة مما يمكن إدراجه تحت هذا الشرط، جاءت في أربع عشرة آية، وهذه الكلمات هي: كبير، ننشزها، فتبينوا، يقصّ، بُشْراً، يسيركم، تبلو، لنبوئنهم، كبيراً، عباد، بضنين.

---

(١) انظر على سبيل المثال ابن الجزري في النشر، ١/٣٣.

٥ – كل قراءة لهذه الكلمات أعطت معنىً ملائماً للسياق وما ترشد إليه الآية، فكان وجود هذه القراءات لهذه الكلمات غاية في الروعة والإعجاز، وذلك أن اختلاف القراءة نوع في المعنى، وكشف عن إعجاز النص القرآني.

٦ – بينت الدراسة أن قراء المصر الواحد اختلفوا في قراءة هذه الكلمات، وليس ذلك بغريب، إذ إن المعول عليه هو السماع ورسم المصحف، أما الرسم فهو واحد في المصر الواحد، وأما السماع فمن الطبيعي أن يكون عند قراء المصر الواحد أكثر من وجه، بناء على السماع من شيوخهم، بل إن من الطبيعي أن يكون عند القارىء نفسه أكثر من وجه للقراءة بدليل اختلاف راوييه عنه أحيانًا.

٧ – تبين هذه الكلمات وغيرها مدى الدقة التي وُفِّق إليها الصحابة الكرام في كتابة المصاحف زمن عثمان رضي الله عنه، وذلك أنهم رسموا الكلمة بحيث تقبل وجوه القراءات الأخرى المتواترة الواردة فيها، فإن أمكن رسمها كذلك فبها، وإلا فإنهم خصوا بعض المصاحف برسم، والمصاحف الأخرى برسم، وهذا الذي يوضح سبب اختلاف مصاحف الأمصار في رسم نحو من ست وثلاثين كلمة.

٨ – يكاد علماء توجيه القراءات يقتصرون في دراساتهم على الحد الأدنى من التوجيه، وذلك ببيان المعنى أو الإعراب أو اللهجات الواردة في كل قراءة والتوفيق بينها، والحقيقة أن هذا علم ينبغي أن يكشف عن دقائق مجيء هذه القراءات ويكشف عن إعجازها. ولعل الله ييسر من يقوم بهذه المهمة.

٩ – بينت الدراسة أن بعض الكلمات التي قد يُظن بأنها من المترادف قد اختلف معناها، وهذا يعزز القول.. بأن لا ترادف حقيقيًا بين الكلمات العربية، فما دامت مختلفة في جذرها فلا بد أن يكون هناك اختلاف في المعنى ولو كان بسيطًا.

١٠– بينت الدراسة وقوع بعض العلماء في خطأ الترجيح بين القراءات المتواترة، وقد حدث هذا للطبري والرازي والآلوسي.

١١- وقد بينت الدراسة - أيضًا - تناقض الطبري في ترجيحاته بين القراءات، فهو أحيانًا يرجح بحجة ما يؤيد القراءة التي اختارها من آيات أخرى، ولأن أغلب القراء قرأوا بها، بينما نجده أحيانًا يقول بتقارب المعنى بين بعض هذه القراءات، بحجة أن القراء المشهورين قرأوا بها، مع أن القراء لم يتغيروا في الحالتين.

المصادر والمراجع

١ – الآلوسي، محمود شكري، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

٢ – الأصفهاني، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران، الغاية في القراءات العشر، تحقيق محمد غياث الجنباز، (دار الشواف، الرياض، ط/٢، ١٩٩٠).

٣ – البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، المطبوع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، (دار الفكر، بيروت).

٤ – الترمذي، أبو عيسى، الجامع الصحيح، موسوعة الحديث الشريف، الكتب التسعة/برامج صخر للكمبيوتر.

٥ – ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه، (تصوير الطبعة الأولى، الرياض).

٦ – ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، (دار الكتب العلمية، بيروت).

٧ – ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، (دار المعرفة، بيروت، ط/٢، ١٩٧٥).

٨ – ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت).

٩ – ابن حنبل، أحمد، المسند، (المكتب الإسلامي، بيروت).

١٠– أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/٢، ١٩٩٠).

١١– ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٥، ١٩٩٠).

١٢– الدارمي، السنن، موسوعة الحديث الشريف، الكتب التسعة/برامج صخر للكمبيوتر.

١٣- الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد، التيسير في القراءات السبع، (مطبعة الدولة، استنبول، ١٩٣٠).

١٤- الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق محمد أحمد دهمان، (دار الفكر، دمشق، ط/٢، ١٩٨٣).

١٥- أبو داود السجستاني، السنن، (دار الفكر، بيروت).

١٦- الرازي، الفخر، مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير، (مكتبة الإيمان، القاهرة، ط/١، ١٩٩٢).

١٧- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، (دار المعرفة، بيروت).

١٨- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر، بيروت، ط/٣، ١٩٨٠).

١٩- ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٩٧٩).

٢٠- شاهين، عبد الصبور، تاريخ القرآن، (دار القلم، ط/١، ١٩٦٦).

٢١- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، (دار الوفاء، مصر، ط/١، ١٩٩٤).

٢٢- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، (دار العلم للملايين، بيروت، ط/١٨، ١٩٩٠).

٢٣- الضباع، علي محمد، سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، (مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة).

٢٤- الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبعة المحققة بتحقيق أحمد ومحمود محمد شاكر.

٢٥- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط/٣، ١٩٦٨).

٢٦- القرطبي، أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن، (مكتبة الرياض الحديثة).

٢٧- القطان، مناع خليل، مباحث في علوم القرآن، (مكتبة المعارف، الرياض، ط/٢ الجديدة، ١٩٩٦).

٢٨- قمحاوي، محمد الصادق، الكوكب الدري في شرح طيبة ابن الجزري، (ط/١).

٢٩- القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وتوجيهها، تحقيق محيي الدين رمضان، (ط/١٩٧٤).

٣٠- ابن ماجة، السنن، موسوعة الحديث الشريف، الكتب التسعة/برامج صخر للكمبيوتر.

٣١- المارغني، إبراهيم بن أحمد، تنبيه الخلان إلى شرح الإعلان بتكميل مورد الظمآن، مراجعة وتحقيق عبد الفتاح القاضي، (دار القرآن، القاهرة).

٣٢- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، (دار المعارف، مصر).

٣٣- محيسن، محمد سالم، المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، (المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ١٩٧٩).

٣٤- محيسن، محمد سالم، الهادي: شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها، (دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٩٩٧).

٣٥- ابن أبي مريم، نصر بن محمد، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق عمر حمدان الكبيسي، (الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة، ط/١، ١٩٩٣).

٣٦- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، (دار الفكر، بيروت، ط/ ١٩٨٣).

٣٧- الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (مؤسسة المعارف، بيروت).